أبو الحسن علي الحسني الندوي

القرن الخامس عشر الهجري الجديد

في ضوء التاريخ والواقع

- دراسة عميقة للتاريخ • استعراض أمين للواقع
- و منهج شامل للعمل الاسلامى

ملتزم النشر و التوزيع
المجمع الاسلامى العلمى (ندوة العلماء)
لكهنو (الهند)

من مطبوعات المجمع الاسلامى العلمى

رقم ١٤٤

١٤٠١هـ — ١٩٨١م

طبع فى
مطابع الرشيد
المدينة المنورة

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه المحاضرة

طلب من سماحة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى أن يفتتح مناسبة أسبوع مطلع القرن الخامس عشر الهجرى الجديد ، التى نظمتها «المنظمة الاسلامية للطلاب» (S.I.M) فى لكهنؤ (الهند) ، فى قاعة المحاضرات الكبرى فى المدينة ، و ذلك فى ٢٢ من ذى الحجة سنة ١٤٠٠هـ (المصادف ١ من نوفمبر سنة ١٩٨٠م) ، فألقى سماحته فى هذه المناسبة التاريخية الكبيرة كلمة مستفيضة ارتجلها بوحى من المناسبة المباركة ، و أفاض فى بيان الحقائق التاريخية ، و استعراض لوقائع بعض القرون الاسلامية الماضية ، و أحداثها التى غيرت مجرى التاريخ ، و هى تحمل عبرة و درساً للعاملين و المفكرين ، و المخططين للعمل الاسلامى ، و الدعوة

الاسلامية فى هذا العصر ، و عرض صورة واضحة صادقة للقرن الرابع عشر الهجرى الذى كان يلفظ أنفاسه الأخيرة ، يحاسب المسلمون فى ضوئها أنفسهم ، و يقارنون بين أرباحهم و خسائرهم ، و أخطائهم ، و إصاباتهم ، ثم انتقل إلى الحديث عن القرن الخامس عشر الهجرى الذى كان على الباب ، و ما يتطلب من استعداد و عزم ، و مواجهة للحقائق ، ومعالجة حكيمة للقضايا ، و سمو همة لقيادة رشيدة جديدة للعالم ، نابعة من الرسالة و التعاليم السماوية التى جاء بها محمد ﷺ آخر الرسل ، وهاجر فى سبيلها ، فكان تاريخاً جديداً للبشرية ، و تقويماً جديداً فى العالم .

و سجلت الكلمة ، و نقلت من الشريط و تناولها صاحب الكلمة بتنقيح وتهذيب ، وزيادة ذات قيمة فأصبحت رسالة مهمة ، و هدية ثمينة للقرن الخامس عشر الهجرى ، و وثيقة تاريخية جاءت فيها عصارة دراسات عميقة ، وتجارب عملية طويلة ، و قد قام الأستاذ سعيد الأعظمى الندوى ، رئيس تحرير مجلة « البعث الاسلامى » بنقلها إلى العربية .

وإلى القراء المحاضرة القيمة ، هدية من « المجمع الاسلامى العلمى » بمناسبة دخول القرن الخامس عشر الهجرى .

محمد الرابع الحسنى الندوى

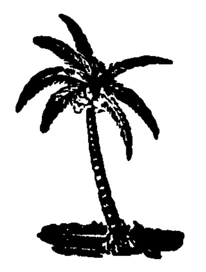
أمين « المجمع الاسلامى العلمى »

ندوة العلماء لكهنؤ (الهند)

غرة ربيع الأول سنة ١٤٠١هـ




بسم الله الرحمن الرحيم



القرن الخامس عشر الهجرى الجديد

فى ضوء التاريخ و الواقع

قال المحاضر بعد الحمد و الصلاة :

أصبح الحديث عن القرن الخامس عشر الهجرى حديث النوادى والمحافل ، و شغل الناس الشاغل ، و شغلت المعنيين بحاضر المسلمين و مستقبلهم ، تنبؤات و تكهنات ، و تمنيات وتطلعات ، و يجب علينا أن نكون جادين واقعيين ، قوامين بالقسط شهـــداء لله و لو على أنفسنـــا و على أمتنا ، و أن نعتبر بالماضى و نأخـذ حذرنا للمستقبل .

و لا يخفى أن التقويم الاسلامى ـ والقرن الخامس عشر جزء منه ـ يبتدىء من هجرة سيـــدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة ، حين تبتدىء التقاويم الأخرى ، بوجه عام، بميلاد شخصية كبيرة ،

أو وفاتها ، أو قيام دولة ، أو تحقق انتصارات عظيمة فى التاريخ (١) ، و كانت مصدر تقويم مستقل ، و لكن الاسلام يتميز عن الديانات الأخرى فى ذلك ، فلم يسم دينه باسم نبيه ، و لكن باسم رسالته ، إذ أن الاسلام ليس اسماً لشخصية ، إنما هو اسم لمنهج و حكم إلهى ، يعنى الخضوع أمام أحكام الله ، و تلك هى ميزة هذا القرن ، فانه لم يبتدىء بوجود شخصية ، حتى إنه لم يبدأ بشخصية

---

(١) مثلا التقويم المسيحى الذى يسود العالم كله ينتمى إلى سيدنا المسيح عليه الصلاة و السلام ، و التقويم البكرمى الذى ساد الهند ينتمى إلى الملك « بكرماجيت » و فى إيران ولدى الزردشت عرف تقويمان وكلاهما ينتميان إلى يزدجرد الثالث ، أحدهما يبتدىء بتاريخ جلوسه على العرش ، و الثانى يبتدىء بوفاته و كذلك التقويم الغريغورى ينتمى إلى البابا غرى غورى الثالث عشر الذى يسود فى أوربا كلها منذ عام ١٥٨٢ م (باستثناء الاتحاد السوفياتى واليونان) .

سيدنا محمد صلى عليه الله وآله وسلم التى كانت ولاتزال أحب شخصية إلى المسلمين بعد الله تعالى ، و لكن هـــذا التقويم لاعلاقة له بولادته صلى الله عليه وآله وسلم ، ولا بوفاته ، رغم أنهما حدثان كبيران فى هذا العالم ، و لكنـــه يتصل بهجرة النبي صلى الله عليه و آله وسلم .

و معنى ذلك أن القرن الهجرى الجديد سيطلع علينا برسالة و دعوة ، و أنه لا يجدد ذكرى شخصيـــة أو أمة فحسب ، بل يجدد ذكرى رسالة ، و هى أن النبي ﷺ هاجر من وطنه العزيز إلى موطن جديد وراء غاية عظيمة . إن هذه الهجرة تذكرنا برسالة سامية وباقدام كبير ، لأن النبي ﷺ لم يقم بها لانقاذ نفسه أو أصحابه المعدودين ، و لكنه قام للحفاظ على الرسالة التى أكرم بها ولاتاحة الفرصة لتبليغها إلى العالم كله ، إن هذا القرن يذكرنا بما للغاية الكريمة ، والهدف العظيم من أهمية وقيمة ، تسهل على المرء أن يضحى فى سبيلها بكل نفيس و غال ، إنها رسالة خالدة ذات روح عاليـة فى تاريخ العالم كله ، تؤكد أن أمراً مهما كان نادراً و غريباً ،

و مهما وضع فى طريقـــه من عراقيل ، و أثير حوله من
النقع ، إذا كان نابعاً من إخلاص النية ، و كان القصد من
ورائه إسعاد الانسانية مع تصمم العزم ، فانه يسطع ضوؤه
و ينقشع عنه الضباب ، و يتكلل بالنجاح عاقبة الأمر .

لذلك فان هذا القرن الخامس عشر الهجرى لا يبعث
همة المسلمين فحسب ، بل إنه يوجه رسالة ثقة و تفاؤل إلى
النوع البشرى كله ، و إلى جميع من يتوخون غاية صالحة ،
و يحملون راية دعوة نافعـــة ، ويبذلون مجهودات فى سبيل
هدف أفضل أو غاية عظيمة ، فيحثهم على مواصلة الجهود ،
و يبشرهم بنجاح تحار فيه الألباب .

أما أن يكون هـــذا القرن الجديد سعيداً للمسلمين ،
و عن طريقهم للانسانيـــة كلها ، أو أن يكون مشئوماً ؟
فذلك أمر لا يمكن أن نصدر عليه حكماً الآن ، فمن قضاء
الله تعالى و حقائق القرآن الأبدية التى لا تتغير هو أهميـة
السعى الانسانى وتأثيره ، فقد قال الله تعالى : « و أن ليس

للانسان إلا ما سعى» (١) إن الانسان فى حيـاته الدنيـا و فى آخرته لا يدرك أكثر مما يسعى ، إنما يدرك ما أنتج له سعيه كما يقول الله تعالى: «وأن سعيه سوف يرى» (٢) إنها رسالة خالدة للنوع البشرى كله و لجميع أدوار التاريخ، إن سعى الانسان لا يخلو من نتائجه التى يراها «ثم يجزاه الجزاء الأوفى» (٣) .

إن هذه الآية الكريمة رسالة تحمل فى طيها معانى كريمة من الهمة العاليـة و الروح الفياضـة ، و إذا كان الشاعر الاسلامى محمد إقبال خاطب الانسان فى بيته الذى معنـاه : «إن حياتك أيهـا الانسان إنما هى رهين عملك ، فاما إلى الجنـة أو إلى النار ، فانك بفطرتك لست من أهل النور و لا من أهل النار» فانى أنشد هذا البيت و أخاطب به القرن الجديد ، فان هذا القرن ـ و ما سبقه من قرون ـ ليس فى طبيعته سعيداً و لا مشئوماً فى الواقع ، فان السعادة

(١) سورة النجم ٣٩ . (٢) أيضاً ٤٠ .
(٣) أيضاً ٤١ .

و الشقاء إنما يتوقفان على مساعى الانسان و اتجاه أعماله ،
و نحن لا نستطيع أن نحكم مسبقاً لأى قرن أو سنة
أو شهر و يوم و ساعة أن فيه سعادة أو شؤما ، ليس
فى الاسلام نظرية الشقاء أو السعادة التى
كانت و لا تزال توجد لدى أمم جاهلية ظلت بعيدة عن
تعاليم الأنبياء عليهم السلام ، لا يسمح لنا الاسلام بأن نحكم
على قرن قادم بأنه سعيد جداً ، تسعد فيه الأمة الاسلامية
كل السعادة ، أو أن هذا القرن مشئوم للأمة أو للأقدار
الانسانية ، إنه ليس تفكيراً إسلامياً ، و لا يؤيده الكتاب
و السنة ، ذلك لأن التصور عن زمن خاص أنه سعيد
ميمون بوجه دائم ، أو باعث على الشؤم والشقاء ، يجنى على
الارادة الانسانية و صلاحيته للعمل و طاقاته ، إن الانسان
إذا اعتقد أن هناك ساعة مشئومة تستقبله قريباً باءت قوته
العملية بالانهيار ، وتعطلت قوة حكمه ، وقدرة صموده بتاتاً .

إن رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم قضى نهائياً
على التعلق بالأوهام و المغالاة فى الاعتقاد بشئ ، والاعجاب
بشخصية ، انكسفت الشمس ذات مرة فى عهده صلى الله
عليه و آله وسلم و صادف ذلك وفاة سيدنا إبراهيم بن

رسول الله صلى الله عليه وسلم بقليل (١) ، و كأن الله سبحانه قد أراد فى ذلك تربية الأمة ، لأن العرب المسلمين آنذاك كانوا قريبى العهد بالجاهلية ، و لم يكن العالم قد تخلص من تأثيرها تماماً ، ثم إن حادث الوفاة كان أمراً غير عادى أثار العواطف ، فتكلم بعض المسلمين وقالوا : كيف لاتنكسف الشمس و قد توفى ابن رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم ، و لو كان مكان رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم فى هذه المناسبة الحزينة أى داع من الدعاة ، أوزعيم من الزعماء ، أو قائد دعوة و حركة و جماعة ، لسكت على هذا الكلام ، إذا لم يوفق إلى نفيه ، ظناً منه أن ذلك الكلام إنما هو فى صالح دعوته و حركته ، و ظن أنه لم يسترع الانتباه إلى هذه الناحية ، بل إن الناس بأنفسهم فكروا فى ذلك و قالوا إن الشمس إنما انكسفت لوفاة ابن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ، إذن فهو ليس مكلفاً بنفى هذا

---

(١) توفى سيدنا إبراهيم عليه السلام عام ١٠ من الهجرة و كان ابن سنة و نصف .

التفكير ، و ذلك هو الفرق بعينه بين النبي و غيره ، فان الأحداث التي يستغلها أصحاب التفكير السياسي - و إن كانت حوادث طبعية - يرى الأنبياء الكرام عليه السلام استغلالها على حساب الدين حراماً ، وأمراً يرادف الكفر ، ولا أدري أن أحداً سوى محمد صلى الله عليه و آله وسلم يكون قد صدق في هذا الامتحان من غير الأنبياء ، و من مؤسسي الجماعات و زعماء السياسة .

و هنالك قام رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم خطيباً في القوم فقال : « إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لايخسفان لموت أحد ولا لحياته »(١) كأن النبي صلى الله عليه و آله و سلم سألهم عما ذا قالوا ؟ ثم رد عليهم بأن الشمس و القمر لا يتغيران لموت أحد من الناس ولا لحياته ، إنما هما آيتان من آيات الله ، و متقيدان بقانون يخصهما ، لا يؤثر عليهما موت و لا حياة ، و لو أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آثر السكوت في هذه المناسبة ، لم يك ذلك سبباً لفساد ، بل إن ظناً خاطئاً

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الكسوف ج ١/ ٢٩٦ .

كان قد وجد سبيلا إلى قلوب الناس بناءاً على الحب و الاعجاب بشخصية الرسول صلى الله عليه و آله و سلم ، و بحكم الاضطرار ، ولكن لم يتحمله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و سرعان ما نفاه و قال : كلا ، إن ذلك الحادث لا علاقة له بأسرتى أو بولدى ، فان الكون أوسع من ذلك ، و إن ذات الله تعالى أغنى عن ذلك ، و قانونه أسمى من مثل هذه الأمور ، لقد كان ذلك إرشاداً مبدئياً يتعلق بالأساس ، وجه إلى النوع البشرى كله ، بل العقل الانسانى كله ، فان العقل الانسانى أهم من النوع الانسانى ، وإنه يحكم النوع الانسانى ، وليس بالعكس ، لقد كان ذلك انحرافاً للعقل الانسانى خطيراً ، و كان لا بد من وضع الحد عليه .

كنت أتحدث وأقول : إن قرناً من القرون ليس سعيداً بذاته و لا مشئوماً ، و أضرب لكم مثالا للكأس ، إنها إذا كانت فارغة لا نحكم عليها بشئ ، إن ذلك يتوقف على ما فيها من مظروف ، فان كانت فيها خمر ـ أعاذ الله منها ـ كانت

الكأس كأس الخمر ، أو كان فيها سم . دعيت بكأس السم ، وإن كان فيها ماء زلال ، أو لبن سائغ ، أوعسل مصفى ، دعيت به و نسبت إليه ، و أما الكأس بذاتها فهى بريئة و شئ حيادى ، و الأمر إنما يتوقف على ما تملأ به الكأس ، فان ملأها أحد بالزمزم فهى كأس الزمزم ، و إن ملأها بالخمر فهى كأس الخمر ، وهنا نستطيع أن نقول ، إن سعادة أو شقاء هذا القرن إنما يتوقف على سعى الأمة التى أخرجها الله تعالى لحمل رسالته الأخيرة .

وبالمناسبة أضرب لكم ثلاثة أمثال ، مثال منها لقرن ابتدأ بأحداث هائلة مخيفة ، و أوضاع قاتمة عابسة ، تبعث على اليأس ، و تقطع الآمال ، وقد استقبله مؤرخو ذلك العهد بشئ كثير من القلق و الحزن ، و بالجروح و الدموع ، و قد شهد المؤرخان ابن الأثير و ابن كثير ، كيف أن الأوساط الاسلامية استقبلت القرن السابع الهجرى ، فقد كانت الدلائل و المؤشرات كلها تشير إلى أن ذلك القرن ليس فى مصلحة المسلمين ، ولا فى مصلحة الأمة الاسلامية ،

و لا فى مصلحـــة الاسلام ، و سيكون أشأم قرن فى حق الانسانية كلها ، فقد كان هذا القرن استهل بحادث غير عادى كما يقول المؤرخ ابن الأثير الجزرى (المتوفى ٦٣٨ﻫ) « فلو قال قائل إن العالم منـــذ أن خلق الله سبحانه و تعالى آدم إلى الآن لم يبتلوا بمثلها لكان صادقاً ، فان التواريخ لم تتضمن ما يقاربها و لا ما يدانيها »(١) .

و أعنى بذلك زحف التتار الذى تم فى عام ٦١٦ ﻫ على أكبر مملكة إسلاميـــة فى ذلك الوقت ، و هى مملكة خوارزم شاه ، كان ذلك فى مبدأ القرن السابع الهجرى ، و فى القرن الثالث عشر الميلادى ، وقد نهض التتار كجراد منتشر ، و اكتسحوا العالم الاسلامى كله ، و دمروا تركستان و إيران ، و أتوا على المـــدن الكبيرة بأسرها و أبادوها ، حتى إنهم رفعوا مناور عاليـــة من رؤس القتلى و جثثها ، و صعدوا عليها ، و أعلنوا فتحهم و انتصارهم ، و تحولت المـــدن إلى مقابر ، و لكى نقدر هول الحادث يحسن بنا

---

(١) الكامل لابن الأثير ١٢ - ١٤٧ .

أن نقرأ ما كتبه « إيدورد جبون » فى كتـــابه (سقوط وانحطاط رومة (Decline and fall of the roman empire)

« حينما اطلع سكان السويد على الزحف التتارى عن طريق روسيا ، تساقط عليهم من الذعر والخوف ما منعهم من الخروج لصيد الاسماك كعادتهم ، إلى سواحل انجلترا (١) »

تصوروا موقع السويد الجغرافى وسواحل انجلترا من المنطقة التى زحف إليها التتار ، إن صيادى الأسماك فى السويد الذين كانوا يمارسون مهنة صيد السمك قد بلغ منهم الخوف إلى حد تركوا فيه مهنتهم ، ولم يتمكن مؤلفو كتاب « تاريخ العهد المتوسط » الصادر من جامعة كيمبردج من تصوير هول الحادث والتعبير عنه سوى أن قالوا : « إن السماء وقعت على الأرض فدمرت كل ما فيها » (٢)

هـــذا نموذج تعليقات المؤلفين الغربيين على الحادث وانطباعاتهم ، الذين لم يتأثروا كثيراً بهذا الحادث، ولم يكونوا

---

(١) جبون ص ١٦

(٢) من كتاب « جنكيز خان » لمؤلفه (هيرلدليب)

هـــدف الهجمات التتارية بطريق مباشر ، و لكى نعرف مدى تأثر المسلمين بهذا الحادث و نظرتهم إليه ، يجب أن نتذكر المثل السائر فى ذلك العهد الذى جاء فيه « إذا قيل لك إن التتر انهزموا فلا تصـــدق » إن المسلمين الذين لم يكونوا يعرفون لغة اليأس والقنوط ، وأمرهم القرآن فقال : « لا تقنطوا من رحمة الله » (١) و الذين كانوا يقرأون فى القرآن : « إنه لا ييـــأس من روح الله إلا القوم الكافرون » (٢) استولى عليهم اليأس ، و تقرر عندهم أن التتر لا ينهزمون .

هؤلاء التتار إنما خرجوا من حصارهم القديم من أجل خطأ سياسى صدر من خوارزم شاه ، يطلع عليه من درس تاريخه ، وقد استهدف المسلمون لزحفهم فدمر التتار تركستان وإيران وأتوا عليهما بجميع ما فيها من تراث علمى وحضارى ، وفى تلك الفترة الحالكة لجأ كثير من أبناء البيوتات الشريفة ، العريقة فى الدين و العلم ، و كبار العلماء ، و أئمة الفنون ،

---

(١) الزمر ٥٣ . (٢) يوسف ٨٧

و أصحاب العبقرية من المسلمين . واتجهوا إلى الهند التى كان يحكمها الملوك الأقوياء المسلمون من السلالة التركية ، كان ذلك فى القرن السابع الهجرى و القرن الثالث عشر الميلادى ، و قد حاول الأستاذ « أرنولد » الانجليزى فى كتابه : الدعوة إلى الاسلام (Preching of Islam) أن يصور الجو الرهيب من اليأس والشعور بالهزيمة ، الذى كان يعيش فيه المسلمون ، و كان يستطيع فى ذلك الوقت كل شخص يتمتع بالشعور والمشاهدة وقوة الاستنتاج من ترتيب المقدمات و الأسباب ، أن يتنبأ فيعتقد أن الاسلام قد ولى عهده ، و أوشكت شمسها على الغروب ، و لا شك فان المسلمين هم الذين كانوا هدف الهجمات التتارية فى الواقع ، وقد ضاق عليهم مجال العمل والأمل معاً ، يقول «آرنولد» وهو يتحدث عن منافسين قويين الاسلام و هما : البوذية و المسيحية .

« كانا يحاولان إحراز قصب السبق فى ذلك المضمار ، و ليس هناك فى تاريخ العالم نظير لذلك المشهد الغريب ، و تلك المعركة الحامية التى قامت بين البوذية و المسيحية

و الاسلام ، كل ديانة تنافس الأخرى لتكسب قلوب أولئك الفاتحين القساة ، الذين داسوا بأقدامهم رقاب أهل تلك الديانات العظيمة ذات الدعاة و المبشرين فى جميع الأقطار و الأقاليم ، إن مناهضة الاسلام لمنافسيه (الديانة البوذية و الديانة المسيحية) و استئثاره بالمغول ، وإحباط مساعى الدعاة البوذيين والمسيحيين ، كان يتراءى شبه المستحيل (١)

كل الدلائل كانت تشير إلى أن المسيحية ستنتصر ، لأنها لم تكن الخصم المناهض فى هذه الحرب ، ثم إن المسيحيات و المسيحيين كانوا فى قصور الأمراء من أبناء جنكيز خان ، وأركان دولته ، فاذا كانت هناك قضية اعتناقهم لدين جديد ، كانت المسيحية هى الديانة المفضلة لدى هؤلاء الفاتحين ، لم يكن يشك أحد فى اعتناقهم لها .

و لكن هل تعرفون ماذا وقع ؟ لقد اضطر آرنولد إلى الاعتراف بالواقع ، يقول : « و لكن الاسلام فاجأ العالم و نهض من تحت أنقاض عظمته الأولى ، و أطلال

---

(١) الدعوة إلى الاسلام ص ٢٥٠ .

بجده-التالد ، و استطاع بواسطـة دعاته أن يجذب أولئك القاتحين الوحوش ، الذين نثروا عليهم كنانة ظلمهم فأسلموا» (١)

و يقول : « و على الرغم من جميع المصاعب أذعن هؤلاء المغول و القبائل الوحشية آخر الأمر لدين هـذه الشعوب التى ساموها الخسف و داسوها بأقدامهم (٢) » .

إن القرن الذى بدأ بالشئوم ـ إذا كان فى الاسلام مجال لكلمـة شئوم ـ القرن الذى بدأ بالظلام الشامل ، و اليأس القاتل ، إنما تحول إلى قرن « فتح مبين » للاسلام و بهت به العالم ، و قضى العجب مما رأى من أن التتار الذين لم تزل أيديهم مخضوبة بدماء المسلمين ، كيف خضعوا للاسلام ، يقول : « هورث » .

« و قد بلغ من سوء المعاملة التى لقيها هؤلاء أن رائضى الخيل من أهل الصين ، كانوا إذا عرضوا أشباحاً أظهروا البشر و الحبور فى صلف و إعجاب بعرض صورة

---

(١) أيضاً ص ٢٤٦ .

(٢) أيضاً ص ٢٥٨ .

تمثل رجلا مسناً ذالحية بيضاء يجره حصان قــد ربط ذيله برقبة هــذا الرجل ، إنما كان هؤلآء يفعلون ذلك ليظهروا للناس كيف يتصرف فرسان المغول فى معاملتهم للسلمين (١)

و الواقع أن المسلمين إنما كانوا قد فقدوا كل شئ ، و لكنهم لم يفقدوا الايمان بالله ، والثقة به وقوة العقيدة ، و الصلة الصادقة به ، و لذلك فان الاسلام لم يمن بالهزيمة إنما منى بها الملوك المسلمون الخرق ، و المجتمــع المريض الفاسد ـ أقول ذلك بصراحة و تألم ـ أما الاسلام فقــد كان سليماً ثابتاً فى مكانه من غير أن يرزأ فى أصالته وقوته ، كان المسلمون قد ظنوا أن إخضاع التتار بالسيف مستحيل ، لأن سيف الاسلام مفلول بل مكسر ، أو عائد إلى الغمد ، و قد أثبت التتار أن لديهم قوة عسكرية أقوى من المسلمين وأنهم بعيدون عن الأدواء التى يجرها البذخ ، والحكومات الطويلة المستبدة ، و المدنية المصطنعة ، و إنهم يملكون من قوة التحمل و الصبر على المكاره و الشدائد ما كان ميزة

(١) تاريخ المغول لهورث ج ١ ص ١٥٩ .

العرب الأقوياء، و فاتحى الاسلام فى العهد الأول، و أنهم لم يخرجوا من محيط الصحراء إلا بعــد قرون فلا تزال طاقتهم كامنة عندهم، لايمكن أن تقاومها السيوف التى تحملها الأيدى التى سرى فيها الوهن و أفسدتها المدنية.

فهل تعرفون من انتصر على التتار المنتصرين على العالم و من حبب إليهم كلمة الاسلام؟ لقد نهض فى ذلك الوقت العصيب، والظلام الحالك رجال من أصحاب القلوب الصافية الذين كانوا يتمتعون بالربانية الصادقة، و القوة الروحيــة الدافقة، أسلم على أيديهم التتار على بكرة أبيهم، فى ظرف نصف قرن، إن التاريخ كلـه يزخر بقصص إسلام النـاس أفراداً و جماعات، و دخول المدن بأسرها فى الاسلام، و لـكن أمثلة إسلام الناس كافة لا تتجاوز ثلاثة أو أربعة أمثلة فيما أعلم، فان العرب أسلموا كافة، والأفغان أسلموا كافة ـ و هم يعانون اليوم مع الأسف محنة من أشد المحن التى تقرر مصير الأمم، و تحولها من جهـة إلى جهـة ـ و كذلك الأتراك و التتار لم يسلموا أفراداً، إنما دخلوا فى

دين الاسلام كأمة ، مأساة فى المأساة، إنه لغز من ألغاز التاريخ و قد واجهته أنا شخصياً كذلك ، و هو أن يتم هذا الواقع الذى غير مجرى التاريخ ، وخلف تأثيراً عميقاً على مستقبل العالم كله - أعنى به إسلام التتار كأمة - ثم لا نجد فى التاريخ أسماء أشخاص يرجع إليهم الفضل فى إسلام هذه الأمة العظيمة ؟ ما السر فى ذلك ؟ .

لقد تذكرت بالمناسبة قصة جندى مسلم فى فتح المدائن عثر على تاج كسرى ، فأخفاه فى ثيابه - شأن المال المسروق - و جاء به إلى قائد الجيش الاسلامى سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه ، و قال أيها الأمير : يبدو كأن هذا شئ ثمين ، و أنا أسلمك إياه ، لكى تجعله فى بيت مال المسلمين و قبل أن يتسلم التاج ، نظر الأمير - و هو من العشرة المبشرة - إلى الرجل بشئ من الدهشة ، و تحدث فى نفسه فقال : كيف لم تفسد نية هذا الرجل المسكين البدوى فى هذا التاج الثمين ، المرصع الغالى ؟ كيف لم يفكر فيما إذا ذهب به إلى خيمته ، و امتلكه دون أن يسلمه إلينا ، فسأله

الأمير عن اسمـه ، فتولى عنه و قال : إن الذى عملت له يعرف اسمى ، و انصرف .

هذه قصة فرد واحد ، وأظن أن الذين كان إسلام التتار قاطبة فى حسابهم كانوا يتسمون بهذه الميزة ، و أنهم أخفوا أسماءهم . وقد واجهت أنا صعوبة فى تحقيق أسماء هؤلاء العظام حينما بحثت فى الموضوع أثناء تأليفى للجزء الأول من « رجال الفكر و الدعوة فى الاسلام » (١) و بعد بحث و عناء طويل عثرت على اسمين أحدهما لوزير صالح يدعى بالأمير توزون (٢) الذى كان رئيس الوزراء لملك التتار الذى كان يحكم العراق ، كان هـذا الوزير رجلا صالحاً من العباد و الزهاد ، و ظل يلقى إلى الملك قولا عن الاسلام و يحببه إليه ، حتى فوجئ أهل بغداد فى يوم جمعة أن رأوا الملك التتارى السلطان قازان و وزراؤه معه متجهين نحو الجامع

---

(١) يقع الكتاب فى أربعة أجزاء ، وقد صدر جزءان منه فى اللغة العربية ، نشرتهما دارالقلم فى الكويت .

(٢) يسميه آرنولد وغيره من المؤرخين « نوروزبيك »

يحملون بأيديهم السبح ، يقول ابن كثير فى البداية و النهاية :

« و نثر الذهب والفضة على رؤس الناس يوم إسلامه و تسمى بمحمود ، و شهد الجمعة و الخطبة و خرب كنائس كثيرة وضرب عليهم الجزية ورد مظالم كثيرة ببغداد وغيرها من البلاد و ظهرت السبح و الهياكل مع التتار ، و الحمد لله وحده » (١) .

و المأثرة التاريخية الثانية هى للشيخ جمال الدين ، وقد انتشر الاسلام بفضل إخلاصه و ورعه فى أحد فروع التتار الكبيرة ، الذى عرف بفرع جغطائى الذى كان يحكم البلاد المتوسطة ، و كان مركزها كاشغر ، وأسلمت الفصيلة بكاملها ، وكان من خبره أن الشيخ جمال الدين كان متجهاً مع جماعة إلى جهة ، وكان التتار يكرهون أهل إيران ويحتقرونهم ، وكان الشيخ إيرانياً ، و صادف ذلك يوم القنص للامير تغلق تيمور ولى عهد الأسرة الجغطائية ، وقد كانت مناسبة تتويجه قريبة ، و معلوم أن الهائمين بالقنص لهم أوهام وتشاؤمات

---

(١) البداية و النهاية ج ١٣ - ٢٤٠ .

لاسيما الأمراء وأبناء الملوك ، فلم تزل لهم أوهام وخرافات يؤمنون بها ، فلما رأى الأمير أن الشيخ جمال الدين قد دخل فى الحمى الذى كان قد خصصه لنفسه ، أمر بأن توثق أيديهم و أرجلهم و يمثلوا بين يديه ، لأنه تشاءم به و تنغص من أجلهم ، و سألهم فى غضب : كيف جرءوا على دخول هذه الأرض ، قالوا إننا أجانب ، و ما علمنا أنها أرض ممنوعة ، محمية للصيد ، فتورطنا فى الدخول فيها ، و معذرة ! و لما علم أنهم إيرانيون ، قال للشيخ ، و أشار إلى كلبه ، و قال أيكما أشرف ، أنت أم كلبى ؟ تصوروا جـــلال الموقف و دقته ، و ماذا يكون رد فعله ؟ و لكنه لم يحدث أى تغيير و لا اضطراب فى الشيخ جمال الدين ، إنه أجاب فى هدوء و قال : إنه لا يمكن أن نحكم الآن فى هذا ، فسأله الأمير ، و متى يمكن ذلك ، فقال : إن ذلك يتوقف على على خاتمتى ، إذا كانت على الايمان فأنا أشرف و أسعد من الكلب ، أما إذا لم أسعد بحسن الخاتمة فلا شك أن الكلب هو أحسن منى .

أثر هذا الكلام الصريح فى قلب الأمير لأنه كان صادراً من القلب فوقع فى القلب . ولا شك أن هذا الجواب قد قد اقترنت به و سبقته دعوات مخلصة . و دموع منهمرة ، و كأنه قد قال بلسان حاله : أللهم إليك أشكو ضعف قوتى و قلة حيلتى . و أنت تملك أن تمنح كلامى هذا تأثيراً فى القلب ، و تلك هى لحظة قضاء الله فى إسلام الأمير ، لأنه إذا سعد بالاسلام سعد به حظ المسلمين ، (١)

وسأل الأمير عن الاسلام و الايمان ، هنالك عرض الشيخ على الأمير تغلق تيمور قواعد الاســــلام فى غيرة و حماس ، رق لها قلب الأمير حتى كاد يذوب كما يذوب الشمع ، وصور له الكفر بصورة مروعة اقتنع معها بضلال معتقداته و فسادها ، و قال : « لكنى إذا اعتنقت الاسلام

(١) سرد « آرنولد » فى كتابه « الدعوة إلى الاسلام » هــذه الحكاية ، و ذكر أن الشيخ أجاب بقوله : « لو لا أن الله أكرمنا بالاسلام وشرف به قدرنا ، لكنا أخس من الكلب » .

الآن ، فلن يكون من السهل أن أهدى رعاياى إلى الصراط المستقيم ، فأمهلنى قليلا ، فاذا بلغك أنى بويعت بالحكم ، وآلت إلى مملكة أجـــدادى ، فعد إلى » و ذلك أن امبراطورية جغطـــائى انقسمت فى ذلك الوقت إلى إمارات صغيرة ، و ظلت على ذلك سنين طويلة حتى نجح تغلق تيمور فى توحيد الامبراطورية كلها تحت سلطانه و جمع كلمتها كما كانت من قبل

و فى هذه الأثناء كان الشيخ جمال الدين قد عاد إلى بلده حيث مرض مرضه الأخير ، فلما أشرف على الوفاة ، قال لابنه رشيد الدين : « سيصبح تغلق تيمور يوماً ملكا عظيماً ، فلا تنس أن تذهب إليه و تقرئه منى السـلام ، و لا تخش أن تذكره بوعده الذى قطعه لى » و لم يلبث رشيد الدين إلا سنين قليلة حتى ذهب إلى معسكر الخان ، و كان قـد استرد عرش إمبراطورية آبائه ، تنفيذاً لوصية أبيه ، و لكنه لم يستطيع أن يظفر بالمثول بين يدى الخان برغم ما بذله من جهود ، و أخيراً لجأ إلى حيلة طريفة ،

فكان يؤذن و يصلى على مقربة من فسطاط الخان ، وذات يوم حين كان يؤذن فى الصباح الباكر أقلق ذلك الصوت نوم الخان ، و أثار غضبه ، فأمر باحضاره و مثوله بين يديه ، و هناك أدى رشيد الدين رسالة أبيه ، و لم ينس تغلق تيمور وعده ، و قال : « حقاً ما زلت أذكر ذلك منذ اعتليت عرش آبائى ، و لكن الشخص الذى قطعت له ذلك الوعد لم يحضر من قبل ، و الآن فأنت على الرحب و السعة ، ثم أقر بالشهادتين ، و أصبح مسلماً منذ ذلك الحين ، و أشرقت شمس الاسلام ، و محت بنورها ظلام الكفر .

ودعا الملك تغلق تيمور رئيس وزرائه ، و قال له : إنى أحمل فى صدرى سراً منذ زمن ، لقد وقع ما سمعته من الشيخ جمال الدين فى قلبى ، و لا يزال له سلطان على ، وقد قررت أن أسلم ، فما رأيك ؟ فقال له الوزير أيها الملك إنى مسلم من زمان ، وكنت أخفى إسلامى ، و قد اهتديت إليه فى إحدى رحلاتى إلى إيران ، و دعا الوزراء والأمراء

إلى الملك ، و أسلموا بعد ما علموا باسلام الملك .

هؤلآ التتار لم يكن لهم حظ فى العلم ولا فى الحضارة ، و لا شأن لهـــم بدين سماوى تستسيغه عقولهم ، فلم يكن بوسع التتار أن يقوموا بتدبير هذه المملكة الواسعة الراقية ، بالعكس من ذلك ، كان هناك مقننون بارعون من المسلمين ، و نظام الرى ، و جبـــاية الضرائب ، و أحكام القضايا ، و كان لدى التتار قانون محدود للتعزير ، وضعوه عــلى أساس تجاربهم فى حياة الصحراء المحدودة ، فكانوا فى أشد حاجة إلى المسلمين من قبل وكان المسلمون من العلماء وخبراء القانون قد أدوا واجبهم نحو هذه المملكة الواسعـــة ، إنهم ساعدوهم فى تدبير شئون المملـــكة ، و طبعوا فى نفوسهم توجيهات الاسلام للحياة ، وكفاءته الواسعة فى تنظيم المجتمع و الدولة ، إنهم رأوا أن مرحلة الايمان و العقيـــدة التى كانت تترقب دورها قد تحققت الآن .

وما أن أسلم الملك تغلق تيمور إلا وقد أسرع التتـــار فى إيران نحو اعتناق الاسلام ، و تم إسلام الجميع فى عدة

أيام ، وكانت الأسرة التتارية الحاكمة فى العراق ، قد سبقتهم إلى الاسلام بجهود الأمير توزون ، و كانوا يتتـابعون فى قبول الاسلام ، ويتسابقون فى عدد جم يبلغ مئات الآلاف ، و كل ذلك قد تم بفضل مجهودات العلمـاء ، و الوعاظ ، و الدعاة المخلصين ، و خاصة بالجهود المخلصة التى بذلها العلماء الربانيون من أهل القلوب ، و تلك حقيقة لا يختلف فيهـا اثنان ، فان التاريخ شاهد عدل على ما قام به أصحاب القلوب المؤمنة دائماً من القيام بالدعوة وتغيير مصير الأمم فى سرية و خفاء ، و استدركوا بذلك ما لقيه المسلمون من هزائم سياسية ، وما واجهوه من إخفاق فى مجال السياسة ، وقلبوا الوضع ظهراً على بطن .

و قد أشار البروفيسور حتى (Hitti) إلى هـذه الحقيقة التاريخية بقوله :

« طالما حدث أن « الاسلام الدينى » أحرز نجاحـاً كبيراً فى أحرج ساعات انتكاس « الاسلام السياسى » (١)

---

(١) History of Arabs P ' 475 .

ولا بد من تعليق على هذا الرأى ، وهو أن المقصود ، أن الاسلام كدين و رسالة أحرز النجاح ، و استدرك ما فات ، حين منى الاسلام ، كقوة حاكمة مثلا فى دولة تتزعمه بالاخفاق و الفشل ، و ليس هنالك « إسلام دينى » و « إسلام سياسي » ، كما توهم عبارة « حتى » و الاسلام لا يعرف الفصل بين الدين و السياسة .

و يقول أحد الفضلاء الهولنديين لوكے گارد (Frede Lokke Goard) :

« رغم أن الاسلام أصيب بالانحطاط السياسى مرات كثيرة ، إلا أن الاسلام الروحانى ما زال متقدماً نحو الأمام » (١) .

و هذا المستشرق الشهير (H. A. R. Gibb) ألقى ذات مرة خطاباً أمام مجلس جامعة آكسفورد ، فقال :

« طالما شهد تاريخ الاسلام أن الثقافة الاسلامية قوبلت بمنافسات شديدة ، و لكنها لم تنهزم رغماً من ذلك ،

---

(1) Islami Taxtation in the Clanic .

ذلك لأن الأساوب التربوى الروحى(١) وتفكير العلماء الربانيين أسرع إلى دعمها و تأئيدها ، ومنحها قوة لم تصمد فى وجهها أى طاقة مضادة » (٢) .

و لا شك فان هؤلاء التتار يسجلون فى كتاب العلماء الربانيين ، و إن هؤلاء الآلاف المؤلفة الذين غيروا مجرى التاريخ حينما يبعثون يوم القيامة ، يعدون فى حسابهم ، أولئك الذين كانوا موضع نقد لاذع فى السنين الأخيرة من غير هوادة و إنصاف أو استثناء ، و لكنهم ينطبق عليهم قول الشاعر العربى القديم (٣) .

(١) يعنى به نظام التربية الروحية و التزكية و الاحسان اللذين يوجد أصلهما فى القرآن والسنة ، و قد سمى فى العهد الأخير « بالتصوف » و طرأت عليه من طوارى من الفلسفة و البدع ما يعلمه المتبصرون ، اقرأ للتفصيل كتاب المؤلف « ربانية لا رهبانية »

(٢) Islamic Culture 1942 P. 265 .

(٣) هو الشاعر الاسلامى الأموى الحطيئة بن جرول بن أوس (توفى نحو ٤٥هـ) .

أقلوا عليهم لا أبا لأبيكم

من اللوم ، أوسدوا المكان الذى سدوا

وبالمناسبة ، من أشد حاجات المجتمع الاسلامى الدائمة وجود ربانيين صادقين ، متبعين لا مبتدعين ، راسخين فى العلم والدين ، يربطون القلوب بالله - عند النكسة التى تصاب بها الحكومات الاسلامية ، أو فتنة المادة و الشهوات ، و التنافس فى البذخ و الثراء التى تمنى بها المجتمعات المسلمة - ربطاً وثيقاً جديداً ، و يبعثون فى النفوس التسامى عن الأغراض الخسيسة ، والتكالب على حطام الدنيا ، ويكرهون إليها الحياة الذليلة ، و المتعة الرخيصة ، و الخضوع المستكين للسلطات و الثروات ، و بيع الضمائر و الذمم ، والمساومة فى الشعوب و الأمم ، و يحببون إليها الاستماتة فى سبيل العقيدة و المبدأ ، و الشهادة فى سبيل الله ، و يحاربون اليأس القاتل ، و يجددون الأمل فى روح الله و نصره ، و يشتغلون بالدعوة إلى الله و تربية النفوس ، و إمداد المجتمع المتداعى المنهار ، برجال أكفاء ، أقوياء ، أمناء ،

يحفظون ثغور الاسلام و يرابطون فى سبيل الله ، و يمثلون فى بيئتهم و مجتمعهم دور الامام الحسن البصرى فى العصر الأموى ، و دور الحافظ ابن الجوزى ، و حجة الاسلام الغزالى ، و الامام عبد القادر الجيلى فى العصر العباسى .

إن وجود هؤلاء الربانيين حاجة المجتمع الاسلامى فى كل عصر ومصر ، هم الذين ينجحون حين تخفق الحكومات ، و ينتصرون حين تنتكس الرايات ، و غيابهم و انقراضهم - كما وقع مع الأسف فى بعض الأقطار الاسلامية التى أغدق الله عليها الخيرات ووسع لها فى الرزق - عوز لا يسد وخسارة لا تعوض ، وخطر على المجتمع الاسلامى والدعوة الاسلامية ، لا يزال بالمنظمات السياسية ، و الأساليب العلمية ، والوسائل الدعائية ، وبمجرد الهتافات العالية الفارغة .

ضربت لكم مثلا بالقرن الذى بدأ بأحداث هائلة كانت تهدد بقاء الاسلام ، لكن المسلمين لم يخسروا الهمة العالية ، و العزم الأكيد ، إذا كانوا قد خسروا الدولة والمملكة ، و تلك حقيقة ثابتة ، فان الدولة يمكن أن يخسرها المسلمون

عشر مرات ، و لكنها تستطيع أن تعود فى المرة الحادية عشرة ،أما الهمة إذا خسرها صاحبها مرة واحدة فانها لاتعود فى أغلب الأحوال ..

ظل دعاة الاسلام مشغولين بوظيفتهم فى صمت من غير دعاية وليت شعرى هل كان المسلمون قد أسسوا حينذاك جمعية لدعوة التتر إلى الاسلام ، أو نشروا إعلاناً أن التتار إذا أسلموا أفاد ذلك عودة المسلمين إلى الحكم المفقود والحصول على السلطة ؟ المرجح أن شيئاً من ذلك لم يوجد ! ولكننى أعلم أن هؤلاء الدعاة قاموا بواجب الدعوة فى هذه الأمة التتارية من غير أن يطلع عليه الناس ، و ما هى إلا مدة قليلة إذ فوجئ العالم باسلام الأمة التتارية جمعاء .

إنى مثلت لكم بالقرن السابع الهجرى و الثالث عشر الميلادى الذى بدأ بأحداث مروعة أفزعت قلوب المسلمين ، ولولا أنهم كانوا يملكون قوة العقيدة لهجمت عليهم ردة فكرية و حضارية ، إن لم تكن ردة إيمانية و لكن لم تحدث هناك ردة حضارية و لا فكرية فضلا عن الردة الايمانية .

و أضرب لكم مثـــالا آخر للقرن العاشر الهجرى (القرن السادس عشر الميلادى) و لا أتوغل بالمناسبة فى تاريخ العالم الاسلامى الواسع ، بل أتحدث عن الهنـــد التى أظل عليها منتصف القرن العاشر الهجرى فى ظروف قاسية كانت تهدد حرمان الهنـــد قيادة الاسلام و توجيهاته ، بل كادت تحرم فضل الاسلام و نعمته ، كان يبدو أن ذلك يتم فى ظرف أيام ، اقرأوا تفاصيل ذلك فى كتب التاريخ (١)

وقد وجدت آنذاك فى العالم الاسلامى مملكتان كبيرتان مملكة العثمانيين فى آسيا الصغرى و الشرق العربى ، و مملكة المغول فى شبه القارة الهندية ، و كانت المملكة الصفوية فى إيران على الدرجة الثالثة ، وقد حدث هنا فى الهند أن عدداً من عباقرة العلماء و المثقفين ـ يتميز من بينهم أبو الفضل وفيضى عن غيرهم ـ انضموا إلى حركة كان يقودها إمبراطور عظيم ذو عزم أكيد و ذكاء نادر ، و غزو و انتصـــار ،

---

(١) مثلا ـ رجال الفكر و الدعوة « المجـــلد الثالث » للمؤلف ، الذى سيصدر قريباً إن شاء الله .

و كانت تهدف هذه الحركة إلى تغيير وجهة الهند من الاسلام إلى دين جديد اخترعه الامبراطور « أكبر » وسماه « الدين الالهى » و « إلى وحدة الأديان » (١) التى كانت الكفة فيها راجحة إلى جانب آخر بصفة دائمة (٢) .

---

(١) يعنى أن الأديان كلها سواء ، لا فضل لأحد على آخر ، و كلها طرق موصلة إلى الله ، و إن اختلفت فى التفاصيل و الشعارات ، و سمت الله بأسماء مختلفة ، و لا تزال الدعوة قائمة فى الهند يقودها بعض الزعماء الهندوس و العلمانيون ، و هى فتنة كبيرة يقاومها العلماء و مسلمون غيارى على الاسلام الذين يؤمنون : « إن الدين عند الله الاسلام » وقوله تعالى : « ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلم يقبل منه » .

(٢) إن هذه الحركة التى أسست على التسامح و الصلح الكامل لم تكن عادلة فى حق الاسلام فرجحت فيها طبعاً كفة الديانة و الفرقة التى كانت ذات تأثير

كان ذلك ملتقى خطيراً للقوة المادية و الذكاء النادر ،
أو كانت مؤامرة ضد الاسلام تتولاها عملكة مطلقة، وعقلية
منحرفة ، يتعذر نظيرها فى التاريخ ، و كان الناس يعلنون
جهاراً أن القرن العاشر أوشك على النهاية، والقرن الحادى
عشر (الذى يبتدىء به الألف الثانى من التقويم الهجرى)
على الأبواب ، و إن ألف سنة ، مدة كبيرة لأى دين من
الأديان ، و قد قام رجال من العلماء و المثقفين ، ممن
لم يكونوا على جانب كبير من العلم والورع وكانوا يحرصون
على المناصب فوفروا لذلك دلائل فى ضوء تاريخ الديانات
و أثبتوا أن ديناً لم يدم أكثر من هذه المدة ، و كلما مر
عليه ألف سنة حل محله دين جديد ، و قيادة فكرية

✱ فى البلاط و يميل إليها الامبراطور ، فقد اعترف
مؤرخو « تاريخ الهند بايجاز» « مورليند » و ، ا ،
س ، جترجى : بأن قوانين البلاط الأكبرى كانت
أقرب إلى الديانة الهندوكية منها إلى دين الاسلام ،
و أكثر حماية لها .

جديدة ، وقالوا : إن الدين العربى قد أدى رسالته ، وقضى حاجته ، ومر على نبوة محمد ﷺ ألف سنة ، والجيل الجديد بحاجة إلى دستور جديد وشريعة جديدة ، و ما أكثر الفتن التى تنشأ من فلسفات تتحرر عن قيود الدين و الأخلاق .

تصوروا هذا الخطر المتفاقم ، لقد كان حامل لواء هذه الحركة و رمزها ذلك الامبراطور الذى كانت الهند كلها ترتجف أمام سيفه ، الذى كان قد ذلل كل عقبة كأداة ، و ما كان يعرف للهزيمة و الفشل معنى ، كان دم الشباب و القوة يجرى فى عروقه و شرايينه ، و يقتفى آثار آبائه و أجداده فى حل المشكلات ، والطموح إلى المعالى ، وكان بجوار هذا الامبراطور القوى ، عالم متفنن فى علوم كثيرة ، وله باع طويل فى الآداب والكتابة ، والانشاء والتأليف ، خلف وراءه كتابات تشهد بعبقريته ، و فرط ذكائه ، هو أبو الفضل علامى (١) أحد أركان الدولة ، وكبار الوزراء .

فماذا كان ؟ ! حلت أواخر القرن العاشر تحمل فى طيها

---

(١) لقب كان يلقب به كبار علماء البلاط .

دلائل ثورة على الاسلام ، و تنبئ أن الاسلام لم يعد له قرار فى هذه البلاد ، ويكاد يودع أهلها ، الأمر الذى يعنى أن السلطة الدينية والروحية تكاد تنتقل من أهلها إلى طاقات وفلسفات جديدة ، مع انتقال السلطة السياسية إلى غير أهلها ، إن هذه الثورة كادت تقضى على تلكم المجهودات التى بذلها الغزاة المغامرون لفتح هذه البلاد منذ عدة قرون ، و فى جانب آخر كانت تضيع ثمار ذلك الجهاد الذى قام به الشيخ معين الدين الجشتى ، و خلفاؤه المخلصون ، أولئك الذين وجهوا من داخل زواياهم إلى أرواح سعيدة ، دروس الانسانية والحب والمساواة و العدالة الاجتماعية ، و أشرفوا على الحكومة الحاضرة دينياً و خلقياً من خارج زواياهم ، و هيأوا للدولة و المجتمع أفراداً صالحين أقوياء أمناء ، ورعين محبين للانسانية ، و نفخوا فى حركات البلاد العلمية و التربوية روحاً جديدة . (١)

---

(١) ليرجع للتفصيل إلى كتاب « نزهة الخواطر » للعلامة السيد عبد الحى الحسنى رحمه الله ، و « المسلمون فى الهند » للمؤلف .

ثم ماذا حدث ؟ لقـــد طلع نجم من زاوية الايمان و الاخلاص ، و العلم و الحكمة ، التى ظلت متدفقة بالحياة و النشاط على الدوام ، إنه لم يطلع من أفق مادى أو سياسى و قد عرف باسم الشيخ أحمد السرهندى مجدد الألف الثانى (٩٧١ ـ ١٠٣٤ هـ) . ذلك الرجل العظيم الذى تحـــدث عنه محمد إقبال الشاعر الاسلامى فقال ، ما معناه : ،

« ذلك الرجل الكبير الذى نهض لصيانة تراث الدين ، الذى نبهـــه الله عـــلى الخطر المحدق بالأمة فى أوانه ، ذلك العصامى الذى لم يحن رأســــــه أمام الملك جهانكير ، و نفخ فى الأحرار روحاً وثابة من الايمان والحنان » .

و لمقاومة تلك المؤامرة ضد الاسلام التى دبرها عباقرة ذلك العصر ، يقوم رجل فقير فى إحدى زوايا « سرهند » و يعتزم أن ذلك لا يكون ، إنه تساءل نفسه ، فقال لماذا يحرم المسلمون فى هـــذه البلاد أن يعيشوا أحراراً أعزاء ، متمسكين بشعائرهم الدينية ، ولماذا يضيق عليهم وحدهم مجال الحياة ؟ ؟

فماذا كانت النتيجة ؟ لما بدأ القرن الحادى عشر الهجرى رأى العالم أن الأوضاع تغيرت ، و أن مستقبل الاسلام فى هذه البلاد أصبح مضموناً إلى ما بعده بقرون ، قام هذا الرجل العظيم من سرهند لدحض الأباطيل و المغالطات العلمية و الاشراقية التى كانت متجهة إلى إنكار حاجة البشرية إلى النبوة و الأنبياء و خلود الرسالة المحمدية وإن الشريعة دائمة لم تنسخ ، و المسلمون مكلفون بها فى كل مكان و زمان ، و السنة قائمة لم تزل ، و سعادة المسلمين منوطة بالتمسك بها ، و لا بديل عنها ، و بذلك أعاد ثقة كثير من الذين اضطربت عقائدهم بالشريعة الاسلامية ، و رد إعتبارها (١) .

لم يحاول تنظيم قوة ضد الامبراطور « أكبر » ، لقد تفطن بدراسته التاريخية ، و بصيرته القرآنيــة ، أنه سيمنى بالاخفاق الذريع ، إذا أبدى خصومته له ، و تمثل أمامــه كمنافس ، فالدولة قوية فتية لم يتسرب إليها الوهن ، ولم يسر

---

(١) من أراد التفصيل فليراجع « رجال الفكر و الدعوة » للمؤلف ج ٣ ، الماثل للطبع (الباب الخامس) ،

إليها الهرم ، و سوف تصد فى وجهـــه الطرق ، فينبغى له أن يدعو الله ، و يجمع حوله مخلصين أكفـاء ، و يتناولهم بالتربيـــة الشاملة التى تنجو بهم من مزالق المـال والحكم ، و تجعلهم بعيـــدى النظر ، لا يطمحون إلى الجاه و المنزلة ، و الزلفى عند الحاكم ، يصلح بهم الأوضاع الفاسدة ، و يحول بهم اتجاه الدولة و المجتمع ،

وحدث بامبراطور « أكبر » حدث الموت ، وخلفـــه ابنه جهانكير ، و لم يكن معانداً للاسلام ، و لم يكن راضياً بكثير من تصرفات أبيه الراعنة ، و سياسته المناوئة للاسلام و كان حوله رجال من العنصر الـكريم ، وأهل الغيرة على الاسلام . فبـــدأ يراسل هؤلآء الأمراء ، و قادة الجيش ، و بطانة الملك ، يثير فيهم الغيرة الاسلامية ، ويشعل شرارة الايمان الكامنة فى نفوسهم ، ويذكرهم بمسئوليتهم نحو الاسلام الذى يمر بمرحلة خطيرة فى الوقت الحـــاضر ، حتى يقوموا بدورهم ، و ذلك كله بطريقة علميـــة فى أسلوب أدبى قوى يأخذ بمجامع القلوب ، و بثقة من القلب و يقين منـــه ،

و توجع للوضع الاسلامى المحزن . يفتتت الكبد و يثير الأحزان .

و هؤلآء الأمراء تطول قائمة أسمائهم . و يجدر بالذكر منهم عبـــد الرحيم خان خانان ، و الأمير مرتضى خان (سيد فريد) فكانت النتيجــة أن الوضع تغير فى ظرف ١٥ - ٢٠ عاماً ، حتى انتقل مركز الثقل فى العلوم الدينية إلى الهند ، و القيادة الفكرية و الروحيــة ، و انتهت إليها رئاسة التدريس ، والنشر لعلم الحديث ، و التربية الروحية ، و ظهر تفوقها حتى فى اللغة العربيــة و آدابها . إن المكانة التى حظيت بها الهند فى خدمة العلوم الاسلامية ، و نبوغ رجال العلم و الدين الكبار فيها ، إنما يرجع الفضل فى ذلك إلى هذه الجهود المخلصة التى بذلها الامام السرهندى ، وظلت مصابيح العلم و التحقيق تتوقد فى أرجاء هذه البلاد .

وظهر بعد مدة الامام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوى (١١١٤ - ١١٧٦) الذى أسس علم كلام جديد ، و قام بشرح و إيضاح معنى نظام الخلافة ، و عرض مخطط الحكم

الاسلامى الصحيح الذى لم يسبق له نظير فيما أظن (١) مع ما بذل من محاوت لانقاذ الحكومة الاسلامية فى الهند - التى لم يكن لها بديل فى ذلك الوقت - من الوضع المنهار ، وبعث روحاً جديدة فى جسمها ، ذلك أن سقوطها وضعفها كان يهدد بخطر الاضطراب الكبير خلقياً و سياسياً (٢) .

و قام أبناؤه الموفقون الأفاضل (و فى مقدمتهم الامام عبد العزيز بن ولى الله رحمه الله) بنشر علوم الكتاب و السنة فى هذه البلاد ، وجد منه إقبال عام على دراسة القرآن و تفهم معانيه ، و انبثقت منه حركة قوية لتدريس

---

(١) و الدليل على ذلك كتابه الفريد « إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء » بالفارسية .

(٢) لمزيد التفصيل راجع « رسائله السياسية » التى كتبها إلى أمراء المسلمين وقادتهم ، وقد جمعها البروفيسور خليق أحمد نظامى رئيس قسم التاريخ فى جامعة عليكره الاسلامية فى مجموعة ، و قدم لها و علق عليها .

الصحاح الستة ، و العناية بالحديث الشريف ، ونشره و نقله إلى اللغة الأردية ، و انطلقت موجة عارمة لاصلاح العقائد و الأعمال ، و معارضة التقاليد الهندوسية التى تسربت إلى المجتمع الاسلامى الهندى .

كانت حركة الاصلاح و الجهاد ، و إحياء السنة ، و الخلافة الكبرى التى قادها العالمان الشهيران الامام أحمد ابن عرفان الشهيد (١٢٤٦هـ) و العلامة محمد إسماعيل ابن عبد الغنى بن ولى الله الدهلوى ، الشهيد (١٢٤٦هـ) فى شبه القارة الهندية ، حلقة متينة ذهبية لهذه السلسلة الذهبية و قد وفقت هذه الحركة الجليلة لتقديم نماذج من السيرة الاسلامية ، و الحمية الدينية ، و تربية الانسان و صناعة الرجال ، جددت ذكرى القرون الأولى . إن هذه الجماعة تابعت جهودها على جبهة الدعوة و الاصلاح الواسعة التى يتعذر نظيرها فى تاريخ العالم الاسلامى سابقاً (١) .

---

(١) راجع للتفصيل « حركة الهند الاسلامية الأولى » للأستاذ المرحوم مسعود الندوى ، وكتاب « الامام ★

ثم جاء عهد المدارس الدينية ، و تأسست مدرسة دار العلوم ديوبند ، و مدرسة مظاهر العلوم بسهارنفور ، و دار العلوم ندوة العلماء فى لكهنؤ ، وغيرها من المدارس الاسلامية فى أنحاء البلاد التى قامت على أساس الكتاب و السنة ، و نشر تعاليمها (١) وقد تم بجهود مؤسسى هذه المدارس الكبار و أفاضلها المخلصين ، و الراسخين فى العلم إصلاح العقائد و الأعمال على أوسع نطاق ، و نشأ ذوق دينى ، و غيرة إسلامية فى الناس ، وأسهم منهم عدد وجيه فى حركة تحريرالبلاد ، والنشاطات العلمية والأدبية ، و لم تحدث تلك الفجوة الواسعة العميقة بين جماهير هذه البلاد ، والطبقة

★ الذى لم يوف حقه من الانصاف و الاعترف »
بقلم المؤلف .

(١) كالمدارس السلفية ، و المعاهد التى أنشأها إخواننا أهل الحديث فى أنحاء البلاد ، وللاطلاع على تفاصيل هذه المدارس ، راجع كتاب « المسلمون فى الهند » و هو استعراض تاريخى موجز .

المثقفة و بين علماء الدين ، كما حدثت فى كثير من الأقطار الاسلامية حتى آلت إلى الثورة والعداء فى بعض الأحيان ، ولم يأخذ المجتمع الاسلامى فى هذه البلاد بمبدأ « فصل الدين عن السياسة » كما أخذت به بعض المجتمعات الاسلامية فى بلاد أخرى ، ولم تزل ولا تزال الصلات قوية بين الشعب و العلماء و لا يزال للدين و ممثليه سلطان على الدهماء .

وبفضل جهود هؤلاء العلماء العلمية تمتعت الهند بمركزية دينية ، حتى أتى عليها حين من الدهر ، إذا أراد أحـــد فى اليمن فى أقصى الجنوب ، ومراكش فى أقصى الشمال ، وغيرهما من الدول الاسلامية ، أن يصل إلى درجة اختصـاص فى الحديث الشريف ويتخرج فيه، أم الهند ، وكذلك من أراد منهم أن يكمل تربيته الدينية ، و التزكية النفسية . و يتدرج إلى مدارج السمو الروحى ، و الصفاء النفسى ، توجـه إلى الهند ، ظهر الشيخ خالد الرومى فى الجزء الشمالى للعراق والشام الذى كان ضمن تركيا ، وأتم دراسته الدينية فى « شهرزور » و « دمشق » ، ولـكنه لما أراد أن يطفئ ظمأه الروحى ،

و يقوى إيمانه بأوامر الله ، و حقائقه الغيبية مثل الايمان بالبديهيات ، و نتائج العلوم الرياضية ، قصد الهند و وصل من بلده «شهرزور» إلى دهلى رأساً. (١) ونزل فى زاوية الشيخ غلام على (م١٢٤٠) و لازمه حتى أذن له بعد تكميل دروسه الروحية بالعودة إلى بلده و أفاد الخلق بعلمه و أخلاقه ، و الحقائق الدينية فى بلدان العراق و الشام و تركيا ، و نفخ فيها روحاً جديدة لا تزال لها آثارها .

إن حديثى هذا و إن كان محدوداً إلى ذكر حركات الهند الاصلاحية و التجديدية إلا أنه لا بد بالمناسبة من الاشارة إلى بعض الحركات الدينية الكبيرة التى قامت خارج الهند ، و خاصة حركة تطهير العقائد و دعوة الدين الخالص الكبرى ، التى قامت فى مركز الاسلام (الجزيرة العربية)

---

(١) ليرجع للتفصيل إلى رسالة «سل الحسام الهندى لنصرة مولانا خالد النقشبندى» للعلامة ابن عابدين (مجموعة رسائل ابن عابدين) .

قادها الامام محمد بن عبد الوهاب (١١١٥ ١٢٠٦هـ) الذى عاصر شيخ الاسلام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوى فى الهند (١) ، و قد كسبت دعوته هــذه ـ نظراً لاسباب تاريخية و سياسية خاصة ـ نجاحاً لم يلقه كثير من الدعاة والمصلحين ، فقد نشأ نتيجة لها جيل مستقل ، ومملكة واسعة ، ومدرسة فكرية بلغ تأثيرها إلى أنحاء بعيدة.

و فى نفس هذا العصر ولد فى اليمن العلامة محمد بن على الشوكانى (١١٧٢ ـ ١٢٥٠هـ) و فى « عسير » أحمد بن عبد الله بن إدريس الحسنى مؤسس السلسلة الادريسية ،

---

(١) شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب قرين شيخ الاسلام أحمد بن عبد الرحيم فى السن تقريباً ، إذ أن الشيخ الدهلوى ولد فى (١١١٤هـ) و الشيخ عبد الوهاب من مواليد (١١١٥هـ) و للاطلاع على أحوال الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وترجمة حياته، راجع كتاب « محمد بن عبد الوهاب المصلح المفترى عليه » للاستاذ المرحوم مسعود الندوى .

وفى ليبيا السيد محمد بن على السنوسى (١٢٠٦-١٢٧٦هـ) (١)
الذين قاموا فى بلادهم بحركة إصلاح العقائد و التقاليـــد ،
ونشر الكتاب والسنة. والتربية على الجهاد والسيرة النموذجية،
و يحاول مستشرقو الغرب إثبات أن هؤلاء المصلحين كلهم
من غرس دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتلاميذه مباشرة
أو بواسطة ، و لكن القضية ليست كلية مطلقة ، إن العقلية
الغربية عاجزة عن تفهم هذه الحقيقة ، و هى أن دراســة

---

(١) المجاهد الشهير والمصلح الكبير سيدى أحمد الشريف السنوسى (الامام السنوسى) كان حفيد الشيخ محمد ابن على السنوسى الذى أبلى فى حرب طرابلس وبرقة ضد الطليان بلاء حسناً ، و ظل يقاوم إلى مـــدة ١٣ عاماً هذه القوى الكبرى بنجاح كبير و قوة صامدة . لقد جمع بين السيف و المصحف فى وقت واحـــد ، كان يعتبر من كبار المربين فى عصره ، توفى بالمدينة المنورة فى عام (١٣٥١هـ-١٩٣٣م) و للاطلاع على التفاصيل راجع كتــاب « حاضر العالم الاسلامى » للأمير شكيب أرسلان : ج ٢ .

الكتاب و السنة الواعية المخلصة تفتق العقول و القرائح ، وتزيل الغشاوة عن العيون ، وتلهب جذوة الايمان والحماس ، فتنهض فى كل فترة تاريخية - قد تطول و قد تقصر - قادة وأئمة ، ومصلحون ومرشدون ، يثورون على الأوضاع الفاسدة ، و يعلنون الحرب على العقائد الزائفة و التقاليد الجاهلية ، و ستدوم هذه السلسلة إلى يوم القيامة .

وبرز بعد ذلك بقليل إلى ساحة العمل والدعوة العلامة السيد جمال الدين الأفغانى (م١٣١٤هـ - ١٨٩٧م) فنفخ فى صور الغيرة الاسلامية و الجامعة الاسلامية الذى ارتج به الوطن الاسلامى الكبير . من مصر إلى الشام و تركيا ، لقد أسهم هو و تلميذه النجيب المفتى محمد عبده المصرى (م١٣٢٣هـ - ١٩٠٥م) فى إيقاظ الوعى الفكرى لدى الشباب المسلم القلق الذكى إسهاماً كبيراً (١) .

---

(١) منذ سنوات عديده ماضية أصبحت كلتا الشخصيتين (الأستاذ والتلميذ) موضوع البحث والنقد ، ونشرت ★

أما ما يتصل بالقرن الرابع عشر الهجرى فانه من وجهة نظر المسلمين قرن الانتصارات و الاخفاقات ، و الأخطاء و تداركها . وقرن سذاجة الشعوب الاسلامية واغترارها ، و قرن الوعى و اليقظة السياسية ، فى وقت واحد و قيام دول و حكومات مسلمة كثيرة ، و قرن حركات إسلامية قوية متعددة ، فان هـذا القرن يجمع من تنوع الحوادث و الوقائع و تناقضها ما يتعذر نظيره فى القرون الماضية .

---

* الجرائد والمجلات العربية مقالات ، وألقيت محاضرات فى الندوات العلمية تقلل من عظمة الشخصيتين ولم تعدا كما كانت قبل اليوم بربع قرن .

و لكن الواقع الذى لا ينكر أنهما مثلا دوراً له قيمته فى إعادة ثقة الشباب المسلم بصلاحية الاسلام فى العصر الحاضر و حيويته ، و من أراد التفصيل فليراجع كتاب المؤلف ، « الصراع بين الفكرة الاسلامية و الفكرة الغربية فى الأقطار الاسلامية » .

لما ابتدأ القرن الرابع عشر كانت راية الخلافة العثمانية خفاقـــة على ممتلكاتها ، و كانت ظلال الخلافـــة الاسلامية تظل المسلمين ، و كان السلطان عبـــد الحميـــد خان الثانى (١٣٢٧ هـ ـ ١٢٩١ هـ ـ ١٩٠٩ ـ ١٨٧٦ م) عـــلى سرير الخلافة ، الذى ظل هدفاً للنقد و الطعن إلى أواسط القرن العشرين ، و إن المؤلفين الغربيين جندوا أقلامهـــم لتشويه وجهه ، و لكن البحوث والدراسات التاريخيـــة التى نشرتها بعض المجلات العربية والتركية الموقرة حديثاً ، أثبتت فى ضوء مذكراته أنه كان حاكماً إسلامياً ذا حميـــة و غيرة إسلامية كبيرة ـــ رغماً من بعض خصائصه الطبعية ومواضع الضعف التى قد تكون خصيصـــة للملكة الموروثة و رد فعل للمعارضات الداخلية و الخارجية و المؤمرات التى دبرت حوله من كل جانب ـــ لم تكن تستطيع القوى الغربية فى عهـــده أن تنجح فى توزيع تركيا كمال سائب ولم يكن احتلال اليهود فى أى جزء من فلسطين ممكناً ، و هو الذى رفض بازدراء

كل ما تقدم به الوفـد اليهودى الممتاز إليه من مساومات و رشى ، و قال لهم ، وقد حمل حفنة من تراب الأرض : أنتم تريدون منى بيت المقـدس ، و أنا لن أرضى باعطائكم مثل هذه الحفنة من تراب فلسطين (١) و هو الذى نفخ فى جسم الخلافة الاسلامية روحاً جديدة و فى العالم الاسلامى حماساً جديداً للوحدة الاسلامية و « الجامعة الاسلامية » .

إن الدولة العثمانيــة التى كانت تتشرف بتولى الحرمين الشريفين و شرف الخلافة الاسلاميـة كانت حصاراً حديدياً للقدسات الاسلامية والدول العربية ومنبع قوة وعزة للأمة الاسلامية ،أينما كانت ، رغم ضعفها والفتن الداخلية والخارجية و المؤامرات المروعة التى كانت تحيط بها ، فلم تكن هــذه المقدسات و الدول العربيــة ـ التى كانت ترتبط بها قلوب المسلمين و شرفهم ـ لكى توزع كمال اليتيم ، إن الدولة العثمانية

---

(١) حدثنى بذلك سماحة المفتى الأكبر الحاج السيـد محمـد أمين الحسينى رحمه الله عـــدة مرات ، و هو من أوثق رواة هذا الموضوع .

كانت تمتد و تتسع فى بداية هـذا القرن إلى اليمن و عسير شرقاً ، و إلى أدرنة و ألبانيا فى أوربا ، و إلى طرابلس و تونس و فزان فى إفريقيا غرباً ، و إلى أسوان و مصر و برقة جنوباً ، و إلى بلغاريا و دويلات بلقان ، طرابزون و أدريا نوبل شمالا ، و كانت الدولة العثمانية تتضمن معظم أجزاء آسيا الصغرى كالشام (و ضمنها كانت فلسطين الحالية و لبنان و الأردن) و مصر ، والجزيرة العربية والعراق والقبرص وكانت أوربا لاتزال تحسب « للرجل المريض » (١) حساباً خاصاً .

و لكن المسلمين لم يقدروا هذه النعمة ، التى كان الله سبحانه قد أنعم بها عليهم فى صورة الخلافة و إمبراطورية مسلمة واسعة ، إن عزل السلطان عبد الحميد خان فى عام ١٩٠٩م لم يكن حادثاً ذا شأن يغير مجرى التاريخ ، ويمكن أن يكون ذلك نتيجة الأوضاع السياسية فى ذلك الوقت أو نتيجـــة

(١) إن المؤلفين و السياسيين الأوربيين يسمون المملكة التركية والأمة التركية بالرجل المريض (Sick Man)

المؤامرات و الدسائس ضد السلطان ، و قد تتابع على عرش الخلافة بعده السلطان رشاد و السلطان وحيـد الدين خان والسلطان عبد المجيد ولـكن الحادث المؤلم الذى نكب به العالم الاسلامى كله وأمين ، والذى خسر من أجله المسلمون بيت المقدس ، هو احتلال الاستعمار الغربى فى الدول الغربيـة كمصر سورية الطبيعية الـكبرى و العراق.، و الجزء الشمالى لافريقيـا إما مباشرة أو بواسطة ، و يبدو أن مـدة هذا العقاب (خاصة فيما يتعلق بالدول العربية فى آسيا الغربية) لم تنته بعد ، و قد حمل العرب السلاح على الدولة العثمانيـة لما وقعوا فريسة مؤامرة الأقلية المسيحية الداهيـة التى كانت تقطن فى الدول العربية ووثقوا بمواعيد الحلفاء [illegible] الخداعة ، وسحروا بسحر القومية العربية إبان الحرب الـكونية الأولى فى عام ١٩١٤م ، وقد قاد الشريف حسين ، الثورة ضد الأتراك فى ١٠ يونيو ١٩١٦ م ، و تحررت الشـام و فلسطين من سلطة الأتراك كنتيجة لها فى عام ١٩١٧ م و تمت السلطـة البريطانيـة على مصر ، و احتل الانجليز بيت المقـدس فى

٩/ ديسمبر ١٩١٧ م ، و فى أول أكتوبر لعام ١٩١٨م دخل الأمير فيصل نجل شريف حسين والجنرال ألنبي منتصرين فى دمشق ، واتجه الجنرال الفرنسى غورو إلى قبر فاتح بيت المقدس و مفخرة الاسلام السلطان صلاح الدين الأيوبى (رحمه الله) ورفسه قائلا : لقد انتصرنا اليوم يا صلاح الدين و دخلنا عقر دارك ، فالى متى تبقى نائماً ؟ و مع نهاية شهر أكتوبر ١٩١٨ م كانت الجزيرة العربية و الشام و لبنان و العراق و دول العرب كلها قد خرجت من أيدى الأتراك و تم عليها تسلط الحلفاء [illegible].

لقد كان العالم الاسلامى كله قلقاً بهذا الوضع والمسلمون مهانين ، ولكن أثر هذه النكبة على مسلمى الهند ، كان أعمق وأقوى من سائر المسلمين فى أنحاء العالم وتظاهروا باضطرابهم القلبي و الفكرى ، فى نفس هذا الوقت قامت حركة الخلافة فى الهند (التى تعتبر كبرى حركة دينية وسياسية فى هذا القرن) وهزت الهند كلها بقيادة العلماء المسلمين وقادتهم كان فى مقدمتهم و على رأسهم الشيخ عبد البارى الفرنجى محلى ، وشيخ الهند

مولانا محمود حسن الديوبندى ، ومولانا أبو الكلام آزاد ، والزعيم مولانا محمد على جوهر ، وأخوه مولانا شوكت على و مولانا ظفر على خان و غيرهم من العلماء و القادة الذين يندر نظيرهم فى العالم الاسلامى كله فى قوة الشخصية والغيرة الاسلامية ، و الحماس الخطابى ، و بهذه المناسبة سالت قلوب المسلمين دماً ، و تفجر شعورهم الملى كالبركان ، إن هذه الحركة العملاقة أنشأت فى الهند كلها- فى المسلمين وغيرهم - وعياً سياسياً و كراهية شديدة للسلطة الغربية و الحضارة الغربية ، حتى إن الزعيم غاندى أيد هذه الحركة تأييداً كلياً ، و قام مع زعمائها بجولات واسعة على مستوى عموم الهند .

و لكن لما أعلن مصطفى كمال باشا (كمال أتاتورك) فى ٣/ مارس ١٩٢٤م نهاية الخلافة مادت بالمسلمين الأرض و أظلمت عليهم الدنيا ، و فى هذه المناسبة بالذات قال الشاعر محمد إقبال ما معناه .

« لقد شق التركى الجاهل رداء خلعة الخلافة ، ما أشد المسلم سذاجة و عدوه دهاءً » .

كان هذا العصر مدهشاً مؤلماً للعالم الاسلامى ، و كان مماثلا فى شئ كثير بالنصف الأول من القرن السابع الهجرى الذى قضى فيه التتار على السلطة الاسلامية بالهجوم على مدن العالم الاسلامى الرئيسية المخصبة ثم باحتلالهم فيها ، و أبدلوا عزة المسلمين بالذل و العار ، ولكن ذلك لم يكن إلا غارة عسكرية لشعب شبه متوحش لم يصمد فى وجهه العالم الاسلامى المتمدن المترهل ، و لم تكن ترافقه فلسفة فكرية ، و حضارة جديدة و أفكار و قيم جديدة ، و لكن غارة الأمم الغربية وبلدانها ـ التى تمت فى الثلث الأول للقرن الرابع عشر الهجرى وأوائل القرن العشرين الميلادى ـ اختلفت عنها كلياً فقد رافقتها فلسفات جديدة ، و نظام جديد للتعليم و التربية ، و أفكار و قيم جديدة ، و جيش هائل جديد للالحاد و التشكيك و مذهب جديد للمادية .

و مما زاد الطين بلة أن الثورة البلشفية حدثت فى مارس ١٩١٧م . التى لم تكن تتناول التاريخ و الجغرافية و الخريطة السياسية بالتغيير و التحريف فقط ، و لم تكن

مقصورة فى مجال الاقتصاد والسياسة فحسب إنما كانت تهدم أسس العقيدة و العمل و الأصول و المبادىء و الأخلاق والمجتمع ، بل أساس الحياة الانسانية و الشعور الانسانى بأسره ، لكى تقيم على أنقاضه بناءاً جديداً ، وكانت تهدف الاسلام والمسلمين بأضرارها و ضرباتها أكثر من أى شئ ، أولئك المسلمين الذين كانوا حاملى دين إيجابى واضح و خاتم للاديان كلها ، و الذين كان من بين واجباتهم الدينية « الحسبة على المجتمع البشرى » ومع الآسف لم يكن هناك من يشعر بهذا الخطر الداهم فى وقته ويقاومه إلا قليلا ، إن المسلمين لم يثبتوا فراستهم الايمانيــة التى كانت تتوسم أقل الأخطار قبلها ، ولقد شعر بخطر « البلشفية » شعوراً صحيحاً فى غربى العالم الاسلامى المؤمن المجاهــد الغازى المرحوم أنور باشا وزير حرب تركيا سابقاً الذى أسس جبهة قوية ضــد الشيوعيين بتنظيمــه سكان تركستان . و قد وقعت عدة اشتباكات بينه وبين البلشفويين فى الفترة بين ١٩٢١م ١٩٢٢م و فى ٤ أغسطس ١٩٢٢ شن غارة بمقربة من قرية « شكن »

على كتيبة من القوات الروسية و كان عددهم كبيراً فاستشهد فى هذه الغارة أنور باشا رحمه الله ، صادف ذلك يوم الجمعة ٧ من شهر ذى الحجة ١٣٤٠هـ على الأغلب (١)

هذه الثورة البلشفية لم تشمل دول آسيا المتوسطة الخصبة التاريخية ذات السكان المسلمين ، و تركستان الروسية والصينية وحدها و لم تهددها بالردة الفكرية والحضارية فحسب بل جعلت أجيالها الصاعدة فى مواجهة الردة الايمانية والعقائدية ، و أصبحت تعيد تاريخ الأندلس الذى حدث فى القرن التاسع ، بل الواقع أن الدول العربية و مركز الاسلام فضلا عن شبه القارة الهندية أجبرت على مواجهة هذا الخطر الكبير ، و قد بلغ الأمر ببعض الدول العربية إلى أنها لم تكتف باستيراد السلاح و الصناعات الجديدة منها بل

(١) للاطلاع على تفاصيل دوافع أنور باشا الاسلامية وخدماته الجليلة راجع مقالة الأمير شكيب أرسلان الرائعة (الذى كان يعرفه معرفة شخصية) فى حواشى كتاب « حاضر العالم الاسلامى » .

استوزدت فلسفتها و أيدولوجيتهـــا ، و تحمست فى حمايتها و الدعوة إليهـا ،

و بالأمس القريب تم للسلطة الشيوعيـــــــــة الغزو العسكرى فى أفغانستان التى كانت تعتبر معدن الشجاعة الاسلامية و الحمية الدينية ، و التى أتحفت الهند فى كل عهد باداريين أكفاء ، و حـــكام و قادة و علمـاء ربانيين ، و كانت حصنها الخارجى وحارس حريتها الأمين . و هكذا وصلت هذه الفتنة العالمية إلى أبواب شبه القارة الهندية .

❋❋❋❋❋

ومن خلال هذا الظلام الحالك الذى عم أواسط القرن الرابع عشر الهجرى حينما لم يكن يتراءى بريق أمل فى العالم الاسلامى من أقصاه إلى أقصاه بدت تباشير يقظة جديدة كما صورها إقبال فى شعره الذى معناه :

« جرى دم الحياة فى شرايين الشرق الميتة ، إنه لسر لا يستطيع أن يدركه ابن سينا والفارابى ، والواقع أن موجة الغرب الهائلة بعثت فى المسلم حياة من جديد ، و من

تلاطم أمواج البحر ترتوى الدرر فى الأصداف » .

نشأ فى العالم الاسلامى وعى سياسى بشكل بارز فى جانب و رفعت أعلام الحرية و الاستقلال ضد الاستعمار الأجنبي فى البلدان المتعددة ، مما أنتج استقلال مصر و الشام (بجميع أجزائها) والعراق و ليبيا ، وتونس ، والجزائر و المغرب ، و قامت فى أفريقيا دول مسلمة جديدة ، و تحررت إندونيسيا و ماليزيا و تكونت مملكة باكستان الاسلامية العظيمة ، و أسهم مسلمو الهند فى حرب التحرير و قدموا فيها تضحيات غالية كانت دليلا على وعيهم السياسى وحبهم للوطن ، حتى برزت على خارطة العالم السياسى أكثر من ٤٥ دولة مسلمة مستقلة ، ٢٤ منها تتمتع بعضوية الأمم المتحدة و تخفق أعلامها على مبنى الأمم المتحدة الشامخ ، كما يتمتع المسلمون بوزن خاص فى الأمم المتحدة ، و فى المشكلات و المذاكرات العالمية ، و فى كفة ميزان العالم السياسى أيضاً ، ولو أن هؤلاء المسلمين نضج وعيهم السياسى و نشأ فيهم شعور بقوتهم السياسية و تمت لهم الوحدة ،

لاستطاعوا أن يكفوا ألواناً من الجور و الظلم ، و ساعدوا كثيراً من الشعوب المضطهدة و الدول الضعيفة ، و لو أن الله سبحانه رزقهم قادة مخلصين متعففين ، أو أكرم زعماء حكوماتهم بالتوفيق و الهداية ، لاستطاعوا أن يؤسسوا دولة إسلامية صحيحة فى بلدانهم الاسلاميـــة و مناطق نفوذهم ، و ينفذوا النظام الشرعى و يطبقوا القوانين الشرعية ، و استطاعوا أن يقيموا فى حدود دولهم و أقطارهم مجتمعاً إسلامياً نموذجياً ، و بيئة فاضلة خلقية و روحانية مطيعة لله و أحكامـــه ، شاعرة بمسئوليتها و و اجباتها . لا يوجد لها أمثـــلة إلا فى صفحات التاريخ بمسافة قرون ، وقد قطع منها العالم أمله بتاتاً ، حتى إن المسلمين أنفسهم أغفلوها و استغنوا عنها ، و هى تكفى اليوم أيضاً لـكى تنبه الفكر الانسانى و تجبر المعسكرين الشرقى و الغربى على التفكير فى القضية جـدياً ، و أن تمهد لنشر الاسلام طريقاً جديداً .

كذلك إذا عزم المسلمون على استعمال وزنهم وأهميتهم السياسية فى محلها وشعروا بمسئولياتهم واجباتهم شعوراً كاملا

لاستطاعوا أن ينقذوا تلك الانسانية التي يتحكم فيها المعسكران الشرقي و الغربي كما يريدان ، و إنهم في الهند كــــذلك لا يستطيعون أن يصونوا حقوقهم المليــــة لحسب بذكائهم و تضامنهم و قوتهم الخلقيــــة بل يتمكنون من منحها قيادة خلقية و روحية مع إنقاذها من ذلك الدمار العام الذي يخطو إليها بخطوات حثيثــة من أجل القلق السياسي المتزايد وأزمة الأخلاق .

هذا و قـد نشأت في العالم الاسلامي حركات ثورية فكرية و إصلاحية على نطاق أوسع و أقوى يتعذر وجود نظيرها في سعتها و قوتها في الأمس القريب ، و من مزايا هذه الحركات الباعثة على الأمل أنها استطاعت التأثير في طبقة المثقفين و أهل التفكير والعقل (Intellectuals) و توفير مواد علمية واضحة جـذابة لاقناعها وإعادة ثقتها بالاسلام في جانب ، وفي جانب آخر فان نطاقها يتخطى الحدود الجغرافية ، و هي تغطي مساحة واسعة في العالم الاسلامي ، كما أن لهـا جانباً لامعاً آخر يسترعي الانتباه و هو أن الشباب المثقف

لأول مرة فى التاريخ لم يعجبوا بها فحسب بل إنهم تحمسوا فى الدعوة إليها و الانتصار لها أكثر من الشيوخ و من يتقدمهم فى السن .

و نستطيع أن نضرب لذلك مثلا بحركة « الاخوان المسلمون » الحركة الاسلامية الكبرى فى مصر ، و الحركة النورية فى تركيا ، و حزب التحرير فى الأردن و فلسطين ، و حزب ماشومى فى إندونيسيا ، و دعوة التبليغ العالمية فى شبه القارة الهندية و الجماعة الاسلامية فيها ، و لا يشترط أن يوافق هذه الحركات أحد مائة فى المائة إلا أنه مما لايمكن جحده أن لها من التأثير و السعة و القبول ما لا يستهان بقيمته ، كما أن لشعر محمد إقبال القوى الباعث للروح و الطموح (الذى يفوق فى القوة والتأثير و الشمول بين الأدب الاسلامى و شعره ، فى القرون السابقة) سهماً كبيراً فى بعث الايمان و الهمة و الاباء بين الشباب المسلم و الطبقة المثقفة .

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

و مع تقييم أساليب الدعوة و العمل الاسلامى الذى

تقوم به هذه المنظمات و الجماعات الاسلامية ، و تقدير جهودها ، لا مانع من الاشارة - و لو فى غاية الاجمال - إلى النقاط التالية التى يجب التركيز عليها فى الانتفاضة الاسلامية الجديدة ، و صيانة المجتمع الاسلامى من الجاهلية التى يتطلبها القرن الخامس عشر الهجرى فى ضوء الواقع و تجارب الماضى .

١ـ تحريك الايمان فى نفوس الشعوب والجماهير المسلمة و إثارة الشعور الدينى فيها . فان تمسك هذه الشعوب و الجماهير بالاسلام و تحمسها له ، هو السور القوى العالى الذى يعتمد عليه فى بقاء هذه البلاد ، و كثير من القيادات و حكومات العالم الاسلامى فى حظيرة الاسلام ، و هى مادة الاسلام و رأس ماله ، و الخامات الكريمة التى تستخدم لأى غاية نبيلة ، وهى من أقوى المجموعات البشرية وأحسنها سلامة صدر و قوة عاطفة ، و إخلاص .

وذلك مع تحقيق الشروط ، و الصفات التى تستحق بها هذه الشعوب النصر من الله . و التغلب على المشكلات ،

و الانتصار على العدو ، لتصحيح العقيدة ، وإخلاص الدين لله ، و الابتعـاد عن كل أنواع الشرك والعقائد الفاسـدة ، و العادات الجاهلية ، و التقـاليد غير الاسلامية ، و عن النفاق ، و التناقض بين العقائد و الحياة ، والقول والعمل ، وسير الأمم القديمة التى استحقت بها عذاب الله وخذلانه ، و كذلك سيرة الأمم المعاصرة التى نسيت الله ، فأنساهـا نفسها ، و قادت العالم إلى النار و الدمار .

هذا مع تنميـة الوعى الصحيح و تربيتـــه و الفهم للحقائق و القضايا ، و التمييز بين الصديق و العدو ، وعدم الانخداع بالشعارات والمظاهر ، حتى لا تتكرر مآسى وقوع هذه الشعوب فريسة للهتافات الجاهلية ، والنعرات القومية ، أو العصبيات اللغوية ، و الثقافية ، و لعبة القيادات الداهية و المؤامرات الأجنبية ، فتذهب ضحيه سذاجتها و ضعفهـا فى الوعى الدينى و العقل الايمانى .

٢ـ صيانة الحقائق الدينية و المفاهيم الاسلامية من التحريف و إخضاعهـا للتصورات العصرية الغربيـــة ، أو

المصطلحات السياسية و الاقتصادية و التجنب عن تفسير الاسلام تفسيراً سياسياً بحتاً . والمغالاة فى « تنظير الاسلام » و وضعه على مستوى الفلسفات العصرية والنظم الانسانية ، لأن هذه الحقائق الدينية . هو أساس الاسلام الدائم ، و الأصل الذى منه البداية و إليه النهاية . و إليها كانت دعوة الأنبياء ، و فى سبيلها كان جهادهم و جهودهم . و بها نزلت الصحف السماوية .

و الحذر من كل ما يقلل من قيمة الصلة بين الله والعبد و الايمان بالآخرة و أهميتها و يضعف فى المسلم عاطفة امتثال أمر الله و طلب رضاه ، و الايمان و الاحتساب ، و القرب عند الله تعالى ، و هذا التحول يفقد هذه الأمة شخصيتها و قوتها ، و قيمتها عند الله ، و كذلك الحذر من كل ما يقلل من شناعة الوثنية العقائدية ، و الشرك الجلى ، و العادات و العبادات الجاهلية ، و الاكتفاء بمحاربة النظم و التشريعات و الحكومات غير الاسلامية ، فان ذلك يتجه

بهذا الدين عن منهجه القديم السماوى إلى المنهج الجـــديد السيـاسى .

٣ـ تقوية الصلة الروحية والعاطفية بالنبى ﷺ ، والحب العميق له ، الذى يؤثره على النفس ، و الأهل ، و الولد ، كما جاء فى الحديث الصحيح ، و الايمان به كخاتم الرسل ، و إمام الكل ، و منير السبل ، و الحذر من كل العوامل و المؤثرات التى تسبب تجفيف منابع هذا الحب ، و إضعافه على الأقل ، و تحدث جفافاً فى الشعور ، وضعفاً فى العمل بالسنة ، و تجرؤاً فى القول . و انصرافاً عن الافتخار به ، والولوع بدراسة سيرته ، وكل ما يحرك هذا الحب ويغذيه ، و لعل البلاد العربية (بفعل أحداث ، و دعوات قومية) أحوج إلى العناية بهذه النقطة ، و أحق بها من غيرهـــا ، ففيها كانت البعثة المحمدية ، و فى لغتها نزل القرآن . ونطق الرسول .

٤ـ إعادة الثقة فى نفوس الطبقة المثقفـة ، و من بيدهم القيادة الفكرية والتربوية ، والاعلامية ، فى البلاد والحكومات

الاسلامية بصلاحية الاسلام وقدرته ، لا على مسايرة العصر و تطوراته و تحقيق مطالبه ، بل على قيادة الركب البشرى إلى الغاية المثلى ، و تجديف سفينة الحياة إلى بر السلام و السعادة ، وإنقاذ المجتمع البشرى من الانهيار و الانتحار ، الذى تعرض لهما تحت القيادة الغربية الخرقاء ، و أنه ليس « بطارية » قد نفدت شحنتها أو ذبالة قد نفد زيتها ، واحترقت فتيلتها ، بل هو الرسالة العالمية الخالدة ، و سفينة النجاة التى هى كسفينة نوح ، لا ينجو إلا من ركبها .

إن ضعف هذه الثقة ، أو فقدها هو داء هذه الطبقة المثقفة الناشئة فى أحضان الثقافة الغربية ، أو تحت ضغطها ، و هو المسؤل عن كل تصرفاتها و سبب الردة الفكرية ، و الحضارية ، و التشريعية التى تكتسح العالم الاسلامى من أقصاه إلى أقصاه ، وتعانى منه الشعوب المسلمة - التى لا تفهم إلا لغة الايمان و القرآن ، و لا تتحمس إلا للاسلام - و سبب حدوث هذا الخليج العميق ، الواسع بين القيادات و الحكومات ، و الشعوب و الجماهير ، وسبب القلق الذى

يساور النفوس ، و يستهلك القوى والطاقات فى ما لا يعود على الأمة و البلاد بفائدة .

٥ـ قلب نظـام التربية و التعليم المستورد من الغرب ، المنتشر السائد فى العالم الاسلامى ، رأساً على عقب ، وصوغه صوغاً إسلامياً جديداً ، يتفق مع شخصية هـذه الشعوب المسلمة ، و عقيدتها ، و رسالتها ، و قامتها ، و قيمتهـا ، لا يبعد هذا الصوغ عنه عناصر الالحاد أو المادية ، وتصور هذا الكون تصوراً مادياً ، والعلوم وحدات متناثرة متناقضة ، والطبيعة حرة قاهرة ، والتاريخ حوادث غير مرتبطة خاضعة لقلق وصراع دائمين ، وهكذا ، ولا يصلحه إصلاحاً جزئياً ، فحسب بل يبتكر ابتكاراً جذرياً ، مهما استنفد من الطاقات ، و كلف من الوسائل و النبوغ و العبقريات ، و بغير ذلك لا يقوم العالم الاسلامى على قدميه ، و برأسه ، و عقله ، و إرادته و تفكيره ، و لا تدار الحكومات ، و الأجهزة الادارية ، والمرافق العامة برجال مؤمنين أقوياء أمناء مخلصين ، يطبقون التعاليم الاسلامية فى الحكومة و الادارة ، والتربية

والاعلام ، والمجتمع ، فتمثل الحياة الاسلامية بجمالها وكمالها ، وينشأ المجتمع الاسلامى بسماته و خصائصه .

٦ـ حركة علمية قوية دولية ، تعرف الطبقة المثقفة الجديدة ، بذخائر الاسلام العلمية وتراثه المجيد ، وتنفخ فى العلوم الاسلامية روحاً من جديد ، و تثبت على العالم المتمدن ، أن الفقه الاسلامى و قانونه من أرقى القوانين و أوسعها فى العالم ، و هو يقوم على أساس من المبادىء الخالدة التى لن تبلى و لن تفقد صلاحيتها فى يوم من الأيام ، وهى تصلح لمسايرة الحياة الانسانية فى كل زمان ومكان ، وتغنيها عن كل قانون وضعته أيدى الناس .

٧ـ الحضارة عميقة الجذور فى أعماق النفس الانسانية ، وفى مشاعر الأمة ، و أحاسيسها ، وتجريد أمة عن حضارتها الخاصة ـ التى نشأت تحت ظلال دينها وتعاليم شريعتها ، وكان فى صياغتها نصيب كبير للذوق الدينى الخاص ، وطابع هذه الأمة الخاص ـ مرادف اعزلها عن الحياة ، وتحديدها فى إطار العقيدة و العبادة ، و الطقوس الدينية الضيق ،

و فصل حاضرها عن ماضيها ، فلا بد للحكومات الاسلامية ، والمجتمعات الاسلامية من التخطيط المدنى الاسلامى المستقل ، البعيد عن تقليد الغرب الأعمى ، و الارتجالية ، و مركب النقص ، ولا بد من تمثيل الحضارة الاسلامية فى عواصمها ، و فى دوائرها ، وفى بيوتها ، و فى مجتمعاتها ، و فى فنادقها ومنتزهاتها ، وإلى حد فى مكاتبها وطائراتها ، وسفاراتها ، وبذلك لا يعرض العالم الاسلامى نموذجاً للحياة الاسلامية ، والمثل الاسلامية فحسب ، بل يقوم بدعوة صامتة للاسلام .

٨ــ معاملة الحضارة الغربية ـ بعلومها ونظرياتها واكتشافاتها و طاقاتها ـ كمواد خام يصوغ منهـــا قادة الفكر ، و ولاة الأمور فى العالم الاسلامى ، حضارة قوية ، عصرية ، مؤسسة على الايمان و الأخلاق و التقوى ، و الرحمة ، والعدل فى جانب ، وعلى القوة والانتاج ، و الرفاهية ، وحب الابتكار فى جانب آخر ، يأخـــذون من علوم الغرب ما تفتقر إليه أمتهم ، و بلادهم ، وما ينفع عملياً ، و ما ليس عليه طابع غرب و شرق ، و يستغنون عن غيره ، و يعاملون الغرب

كزميل وقرين ، إن كان فى حاجة إلى أن يتعلموا منه كثيراً ، فهو فى حاجة إلى أن يتعلم منهم كثيراً ، وربما كان ما يتعلمه الغرب منهم أفضل مما يتعلمونه هم من الغرب .

٩ــ إقناع الحكومات ـ فى بعض البلاد الاسلامية التى مثلث دوراً رائعاً فى تاريخ الدعوة والحضارة الاسلامى ـ المشغولة بحرب إبادة للعنصر الاسلامى ، أو عملية « تطوير الاسلام » ، وتفسيره وفق مصالحها السياسية ، أو أهواء قادتها الشخصية ، بأنها سياسة عقيمـــة لم تنجح فى بلد إسلامى ، و إقناعها بتوجيه طاقاتها وإمكانياتها إلى عدو مشترك ، وإلى ما يقوى البلاد و الأمة .

و إقناع الحكومات المسلمـــة ـ المسالمة للاسلام ـ بضرورة تطبيق الشريعة الاسلامية ، و تهيئة الجو المناسب ، المساعد على ذلك ، وما يستتبع هذا الأمر من سعادة وبركة ونصر من الله ، و سعى لتكوين قيادة موحدة تقوم على مبدأ الشورى الاسلامى ، والتعاون على البر والتقوى ـ والشعور بالتقصير على الأقل ـ بعدم وجود الامامة العامة ، أو الخلافة

الاسلامية التى كلف بها المسلمون و سيحاسبون عليها .

١٠ــ أما فى البلاد غير الاسلامية فالقيام بالدعوة إلى الاسلام و التعريف به بأساليب حكيمة تتفق مع طبيعة الاسلام و روح العصر ، وأما فى البلاد التى فيها الأقليات المسلمة ، فالاهتمام بتمثيل الاسلام ، و الحياة الاسلامية تمثيلا يلفت إليه الأنظار ، و يستهوى القلوب ، و القيام بالقيادة الخلقية و الروحية ، و قبول مسئولية إنقاذ البلاد و المجتمع من الانهيار الخلق ، والخواء الروحى ، والتدهور الاجتماعى الذى تعرضت له هذه البلاد ، حكومة و شعباً ، حتى يتهيأ الاسلام أن يثبت جدارته و حاجة البلاد إليه ، و يتهيأ للمسلمين أن يقوموا بدورهم البلاغى و القيادى فى هذه البلاد .

⁂⁂⁂

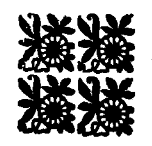
إن التاريخ شاخص ببصره فى مطلع هذا القرن إلى من يحقق مطالب العصر والاسلام التى شرحناها ، ويقوم بهذه التجارب الجريئة الحكيمة ، و المؤرخ ممسك قلمه يسطر به سطور

الثناء والاجلال ، ويقلده الزعامة الحقيقية فى العالم الاسلامى ، و العبقرية و العصامية فى التاريخ الاسلامى .

« إن الحضارة الغربية أشرفت على الانهيار ، وآذنت بالأفول و الزوال ، إنها لا تعيش ولا تواصل سيرها بمجرد قوتها الذاتية ، و جدارتها للحياة و البقاء بل لأنها ليست فى هذا المجال ـ من تعاسة الحظ ـ حضارة تحل محلها وتسد فراغها ، إن جميع الحضارات المعاصرة والقيادات الحديثة اليوم لا تعدو نوعين ، إما هى مقلدة جامدة و صورة شاهبة للحضارة الغربية ، وإما هى ضعيفة هزيلة ، مريضة سقيمة ، منسحبة منهزمة ، لا تستطيع أن تواجه هذه الحضارة أوتقف معها جنباً إلى جنب ، فاذا قامت هذه الدول الاسلامية ، و العالم الاسلامى بصورة عامة لسد هـذا الفراغ الذى سيحدث بعد نهاية هذه الحضارة و انسحابها عن مسرح القيادة رد إليه منصب قيادة الجنس البشرى ، و توجيه الشعوب المعاصرة مرة ثانية ، المنصب الذى لايفوض إلا إلى أمة فتية قوية أبية تحمل كل عناصر البقاء و الاستمرار

و التقدم و الازدهار ! « سنة الله فى الأرض ، و لن تجد لسنة الله تبديلا » .

فلينظر هؤلاء القادة و الحكام ما هو أولى لهم وأجدر بشأنهم ؟ التمسك بأذيال الغرب والوقوف على بابه كالشحاذين ، أم منصب قيادة الانسانية ، و هداية الشعوب الضالة التى لا كرامة ـ بعد النبوة ـ مثل هذه الكرامة ؟ ذلك المنصب العالى السامى الذى تتلاشى عنده جميع هذه الألقاب و الشارات ، و الشعارات و الهتافات و المناصب الرفيعة ، و الحياة الناعمة المريحة و الاغراءات المادية الجنسية ، إنها سلعة غالية لايخسر بها المشترى ، ولو ضحى بنفسه مائة مرة »



لتفصيل الاجمال الذى جاء فى هـذه الرسالة و إيضاح الاشارات التى وردت فى هذا الكتب اقرأوا ما يلى :

١ـ الدعوة إلى الله :
[حماية المجتمع من الجاهلية وصيانة الدين من التحريف]
الناشر : المجمع الاسلامى العلمى ندوة العلماء لكنئو
٢ـ أهمية الحضارة فى تاريخ الديانات و حياة أصحابها
الناشر : المجمع الاسلامى العلمى ندوة العلماء لكهنؤ
٣ـ نحو التربية الاسلامية الحرة فى الأقطار الاسلامية
الناشر : مؤسسة الرسالة بيروت
٤ـ الطريق إلى المدينة ــ الناشر : دار القلم بيروت
٥ـ الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية فى الأقطار الاسلامية
الناشر : دار القلم الكويتية
٦ـ رجال الفكر والدعوة فى الاسلام ج ١
الناشر : دار القلم الكويتية
٧ـ منهج أفضل فى الدعوة والاصلاح للدعاة و العلماء
الناشر : المجمع الاسلامى العلمى ندوة العلماء لكهنؤ
و كلها نلمؤلف

صدر حديثاً للمؤلف :

روائع من أدب الدعوة
فى القرآن و السيرة

محاضرات فى مناهج الدعوة و آدابها
ألقيت فى المعهد العالى للدعوة والفكر الاسلامى
التابع لجامعة دارالعلوم ندوة العلماء لكنؤ (الهند)

ملتزم النشر و التوزيع
المعهد العالى للدعوة و الفكر الاسلامى

يطلب من
المجمع الاسلامى العلمى
ص . ب ١١٩ لكهنؤ (الهند)